في التنوير الإسلامي

«٧٤»

إسلامية المعرفة ماذا تعني...؟

تأليف

د. محمد عمارة











إسلامية المعرفة

ماذا تعني...؟

تأليف

د. محمد عمارة



اسم الكتاب: إسلامية المعرفة ماذا تعني؟
المؤلف: د. محمد عمارة
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة الأولى يناير 2007م
رقم الإيداع: 2006 / 22719
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3763-6

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 02/3466434 - 02/3472864 فاكس: 02/3462576 ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938



(١)
شعار جديد .. لمضمون قديم

«إسلامية المعرفة»..

هذا شعار جديد عرفته حياتنا الفكرية والثقافية منذ سنوات.. وكأى شعار جديد فلقد قوبل بردود فعل متباينة ومتفاوتة، تراوحت ما بين التأييد.. والحذر.. والحماس، غير الواعى، له.. أو ضده!

وإذا كان هذا الشعار جديدًا، وإذا كانت جدته قد كانت سببًا فى الكثير من علامات الاستفهام التى قامت من حوله.. فإن من الضرورى - جلاءً لحقيقته - أن نبدأ هذا التمهيد بالإشارة إلى حقيقتين:

الأولى : أن جدة هذا الشعار - «إسلامية المعرفة» - لا تعنى جدة المضمون الذى يعبر عنه، ولا جدة القضية التى يطرحها.. فإسلامية المعرفة - كما سيقيم الدليل عليها هذا التمهيد - هى مهمة فكرية، ورسالة ثقافية عرفتها حضارتنا منذ ظهور الإسلام.. وأول كتاب عرض لهذه القضية - فى تاريخنا الحضارى - هو القرآن الكريم: **فشعار «إسلامية المعرفة» يوحى بالموقف القائل بقيام علاقة ما بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية**.. وهذه هى المهمة الفكرية والرسالة الثقافية التى عرفتها حضارتنا الإسلامية منذ ميلادها وتبلورها، والتى قدمتها بديلاً إسلاميًا فى المعرفة للنموذج المادى فى المعرفة الذى كان معروفًا وسائدًا فى حضارات أخرى، غير الحضارة الإسلامية، قبل وعند ظهور الإسلام..

ولذلك، فإننا نأمل أن تكون الإشارات التي يقدمها هذا الكتاب لتاريخ مضمون هذا الشعار «علاقة الإسلام بالمعارف الإنسانية» في تاريخنا الحضاري والفكري والثقافي – شاهدًا على أن جدة الشعار لا تعني أن مضمونه «بدعة فكرية»؛ لأنه في حقيقته مُسَلَّمة من المسلمات الفكرية الراسخة في علوم حضارة الإسلام..

والثانية ، من الحقائق، التي نشير إليها الآن، هي أن جدة هذا الشعار قد أثارت – وهذا طبيعي أحيانًا – ردود أفعال متباينة تجاهه:

● فهناك – غير الذين ينكرونه ويستنكرونه؛ لأنهم ينكرون ويستنكرون – بوعي – أن تكون للإسلام علاقة – أية علاقة – بأي من معارف وعلوم المدنية والحضارة والحياة – هناك – غير هؤلاء – الذين نفهم موقفهم ولابد أن نحاورهم – هناك الذين ينكرونه لجهلهم بحقيقة مراميه ومقاصده.. وهناك الذين يظلمون هذا الشعار – «إسلامية المعرفة» – عندما يرفعونه، ويستخدمونه، مع جهلهم بحقيقة ما يعنيه! فيسيئون إليه أشد من إساءة العقلاء من أعدائه؛ لأنهم يقدمون «الحجج» السلبية التي يستفيد منها هؤلاء الأعداء؟!

في مواجهة هذا الشعار الذي يطرح قضية: قيام علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية.. وطبيعة ومدى هذه العلاقة؟ هناك مواقف، وردود أفعال:

● فمن الناس من يظن أن «إسلامية المعرفة» هي «كهانة – كنسية» جديدة، في دوائر المعرفة.. تريد أن تجعل من علوم ومعارف الحياة، المدنية والحضارية، «دينًا خالصًا» فتقدسها قدسية الدين، وتثبتها ثبات الدين – فهي حجر جديد على الاجتهاد في علوم الحياة، وتجميد لها وجمود يحول بينها وبين التطور

والتغيير. وبهذا الفهم للقضية، تراهم يناصبونها العداء؛ مخافة أن تعيد، من جديد، السيرة الأولى للكنيسة الأوربية مع العلم والعلماء!

● ومن الناس من يحسب أن إسلامية المعرفة إنما تعنى فصالاً تامًا وكاملاً مع العلوم والمعارف الإنسانية - الاجتماعية منها والطبيعية - التى أبدعها العقل الإنسانى فى الحضارات غير الإسلامية.. فهذه معرفة إسلامية.. وتلك كافرة.. والفصال كامل والخصام تام بين الكفر والإسلام! فهم يخشون أن يفضى أمر إسلامية المعرفة بنا إلى قطيعة مع ثمرات العقل غير المسلم فى المعارف والعلوم، فنزداد عزلة ونوغل فى الانغلاق اللذين يفضيان بنا إلى الذبول والانقراض!

● ومن الناس من توهم أن إسلامية المعرفة لا تعنى ولا تكلف ولا تقتضى أكثر من إضافة بعض من آيات القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية الشريفة إلى مناهج وحقائق وقوانين العلوم التى أبدعتها مدارس الفكر الغربى - الإنسانية منها والطبيعية - فكما نستعين باكتشافات العلم الغربى على اكتشاف الإعجاز العلمى فى آيات القرآن الكريم، نستطيع أن نستعين بآيات القرآن الكريم؛ لإضفاء «الإسلامية» على هذا العلم الغربى.. وكفى الله عقولهم «شر» الاجتهاد والإبداع!

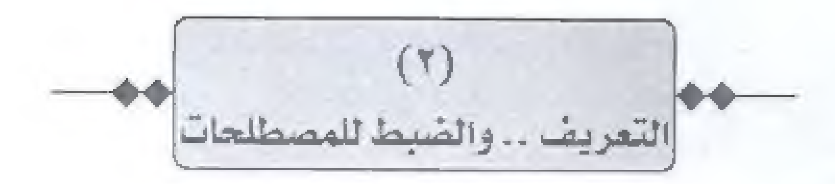
● لكن هناك - غير هؤلاء جميعًا - من يتحفظون على جميع هذه المواقف والرؤى.. ويرون أن إسلامية المعرفة، وإن تكن شعارًا جديدًا، إلا أنه يعبر، فى رأيهم، عن رسالة فكرية جليلة ومهمة ثقافية ثقيلة الحمل! تمثل واحدة من السمات الثوابت والقسمات الأصيلة فى حضارتنا الإسلامية منذ ظهر الإسلام..

وللبرهنة على ذلك، كان لابد من ضبط وتفسير المصطلح والشعار - إسلامية المعرفة - لتبيان المقاصد، وتبديد الغموض.. ليؤيد من يؤيد عن بيِّنة.. ويعارض من يعارض عن بيِّنة.. ويقلع الذين يمتهنون القضية عن هذا الذى يفعلون!

ولابد كذلك من وضع القضية فى مكانها وإطارها الطبيعى والصحيح كبديل إسلامى، ومذهب إسلامى فى المعرفة، يقابل ويخالف المذاهب المادية والوضعية والحسية فى المعرفة.. وإقامة الدليل على أن هذا هو مكان وخطر هذه القضية.. كانت البديل الإسلامي فى المعرفة الذى واجه به القرآن الكريم مذاهب الشرك فى المعرفة المادية.. وكانت البديل الإسلامي فى المعرفة الذى واجه به فكرنا الإسلامى المبكر مذاهب الديانات الوضعية فى المعرفة «الحسية - التجريبية»، عندما رأتها هذه المذاهب مصدرًا وحيدًا لمعارف الإنسان.. فكانت هى - إسلامية المعرفة - «مقالة الإسلاميين» - فى المعرفة الإنسانية - التى واجهوا بها «مقالات غير الإسلاميين» فى هذا الميدان!

كانت كذلك، فى النشأة، وفى التطور.. كما هى الآن، عندما يطرحها هذا الشعار الجديد - إسلامية المعرفة - ليواجه بها مذاهب الحضارة الغربية فى المعرفة.. المادية منها والوضعية.. والتجريبية.. والوضعية المنطقية.. والسلوكية.. وغيرها من المذاهب التى تشترك فى نفى العلاقة بين «كتاب الوحى» - الدين - وبين «كتاب الوجود» - المُدْرَك بحواس الإنسان..

وتلك هى المهمة التى تطمح لبلوغها صفحات هذا الكتاب إن شاء الله.



(٢) التعريف .. والضبط للمصطلحات

والآن..

ماذا يعني هذا المصطلح - الشعار - «إسلامية المعرفة»؟

● إن «الإسلامية» هي النسبة إلى الإسلام.. وإذا كان الإسلام - لغة - هو الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول ﷺ من البلاغ الإلهي المتمثل في القرآن الكريم، ومن البيان النبوي، المتمثل في السنة النبوية الصحيحة - فإن الإسلام - في الاصطلاح - هو الدين الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لعباده ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[1].. فهو: وضع إلهي، يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ.. من البلاغ الإلهي، والبيان النبوي.

فالإسلام - في الاصطلاح - هو: الوضع الإلهي.. وفي اللغة.. هو الانقياد لهذا الوضع الإلهي: أي الانقياد لله، ولما جاء من الشرائع والأحكام التي تلقيناها عن رسول الله[2].

«فالإسلامية» هي النسبة إلى هذا الدين الذي وضعه الله: أي إقامة العلاقة مع الوحي ونبأ السماء.

---

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) انظر الجرجاني [التعريفات] - طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م. و[معجم ألفاظ القرآن الكريم] - وضع مجمع اللغة العربية - القاهرة - طبعة ١٩٧٠م.

● أما «المعرفة» فإنها: خلاف الإنكار.. وإدراك الأشياء وتصورها.. فهي: العلم الكسبي الخاص بالبسيط والجزئي والذي فيه إدراك وتصور - وتلك صفات وجهود بشرية إنسانية.

وعندما يراد بـ«العلم»: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.. أو: إدراك الشيء على ما هو به.. أو: حصول صورة الشيء في العقل.. فإنه - وفق هذه التعريفات - يكون مرادفًا للمعرفة؛ لاشتراكه معها في كونه كسبيًا، معتمدًا على الإدراك والتصور، وخاصًا بالبسيط وبالجزئيات.

أما عندما يكون العلم: صفة للإحاطة بالكليات والجزئيات جميعًا، على نحو يكون فيه العلم علة وسببًا للموجود والمعلوم - وليس معلولاً لهما - وغير متوقف على الإدراك والتصور - وأمثالهما من الخصائص البشرية الإنسانية - فذلك هو العلم الإلهي.. المفارق للمعرفة؛ لأن علم الإنسان ومعرفته معلولة ومسببة عن الموجود، وليست سببًا وعلة لوجود هذا الموجود..

فالعلم: منه الكسبي - المرادف للمعرفة - ومنه غير الكسبي - وهو العلم الإلهي.. ولا يسمى معرفة؛ لأن المعرفة كسب، بالإدراك والتصور، في نطاق البسيط الجزئي.. وليس هكذا علم الله، غير الكسبي، والمحيط بالكليات والجزئيات..

فكل «معرفة» هي «علم».. وليس كل «علم» هو بالضرورة «معرفة».. والله - سبحانه وتعالى - عالم.. ولا يوصف بالعارف. أما الإنسان فإنه عالم وعارف بهذا المعنى الذي حددناه..

وفيما هو بسيط. يقال: علمته، وعرفته. ولا يقال علمته فيما لا يحاط به، لخروجه عن البسيط؛ ولذلك يقال: عرفت الله. ولا يقال علمته؛ لأن المعرفة تقال فيما يُدْرَك بآثاره، ولا تُدْرَك ذاته..

ولارتباط المعرفة بالكسب وبالواسطة – أدوات الإدراك والتصور – كانت خاصية إنسانية.. ويشهد على هذا قول رسول الله ﷺ: «أنا أعلمكم بالله»[1]. وإن المعرفة فعل القلب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[2].

وكما لا يقال: الله عارف، كذلك لا يقال في حقه، سبحانه: عاقل.. كما لا تطلق صفة الدراية عليه أيضًا[3].

أي أن بين «المعرفة» و«العلم» خصوصًا وعمومًا..

فالمعرفة إنسانية: لأنها كسبية، وبالوسائط، وخاصة بالبسيط والجزئي، وما يُدْرَك بآثاره، ولا يُدْرَك كنه ذاته.. وتلك من سمات وخصائص وحدود الإنسان.. أما العلم فإنه أعم من المعرفة: إذ فيه الكسبي، الواقف عند البسيط، والجزئي – وهذا هو العلم الإنساني – الذي هو معرفة إنسانية.. وفيه كذلك العلم غير الكسبي، علم ما هو مركب، العلم المحيط والكلي، والمُسَبِّب للموجودات، وليس المنعكس عنها.. وهذا هو علم الله، سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه البخاري . ولو سأل سائل : لم قال الرسول : «أعلمكم» ولم يقل: أعرفكم؟ فالجواب: أن مصدر المعرفة النبوية هنا هو الوحي لا الكسب فهي علم.

(٢) سورة البقرة : ٢٢٥ .

(٣) انظر في هذه المعاني [معجم ألفاظ القرآن الكريم] و[التعريفات] – للجرجاني – و[المعجم الفلسفي] – وضع : د. مراد وهبة ، ويوسف كرام، ويوسف شلالة – طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م .

ولذلك فإن "الوحي" رغم بلوغه لنا عن طريق الرسول ﷺ هو "علم" لا "معرفة" لأنه تنزيل إلهي وبلاغ للرسول ولا كسب فيه من الرسول ولا اكتساب. أما فهمنا له فهو علمنا به ومعرفتنا به بالكسب والاكتساب فالعلوم الشرعية فيها "علم إلهي" هو البلاغ القرآني وبيانه النبوي وفيها "معرفة إنسانية" هي اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في البلاغ القرآني والبيان النبوي

هذا عن الصلة والتعريف والتمييز لمصطلحات [illegible] "إسلامية المعرفة" [illegible] العلاقة بين الإسلام وبين المعرفة أي الصلة بين "كتاب الوحي" القرآن الكريم وبيانه النبوي وبين "كتاب الوجود" ومعارف الإنسان في علوم الوجود الإنسانية منها والطبيعية

فهي "إسلامية المعرفة" إذن المذهب القائل بوجود علاقة بين الإسلام وبين المعارف الإنسانية والرافض لجعل الواقع والوجود وحده المصدر الوحيد للعلم الإنساني والمعرفة الإنسانية

هي المذهب الذي يقيم المعرفة الإنسانية على ساقين اثنين "الوحي" وعلومه و"الكون" وعلومه وليس على ساق واحدة هي "الوجود"

وبذلك كان تمييز هذا المذهب في المعرفة نصا يعتمد كل أدوات وسبل المعرفة المناسبة لإدراك حقائق ومعارف كل من

المصدرين وليس فقط اعتماد الحواس وتجاربها لأنها لا
يمكن أن تمد الإدراك بحقائق الوجود وعالم الشهادة فلن
تفي بإدراك حقائق وتصورات كتاب الوحي وعالم الغيب.

وإذا كانت المعارف والعلوم منها ما هو إلهي شرعي
ومنها ما هو بشري وإنساني وحضاري ودنيوي فإن هذا
التقسيم لا يعني الفصل التام بين الإلهي الشرعي وبين
البشري الإنساني وإنما يعني التمييز فقط بين العلوم
والمعارف التي موضوعها الوحي - القرآن والسنة - فهي إسلامية الموضوع والمصادر والمنطلقات
والمقاصد والغايات وفيها من الإنساني جهود المجتهدين
وفقه الفقهاء في فهم الوحي وسنته وتأويلهم وتوسيع استقرائهم
اجتهادهم في استنباط الجزئيات من الكليات وفي تقعيد القواعد
لها هندسة العلوم'

«التمييز وليس الفصل التام بين هذه العلوم
الشرعية وبين العلوم المدنية البشرية الحضارية
الإنسانية منها والتطبيقية والتي موضوعها الكون - مادته
وظواهره وطاقاته والنفس الإنسانية في مراتب
واجتماعها وعلاقاتها فموضوعات هذه العلوم المدنية
ومصادرها ليست الوحي والدين وإنما هي الكون والإنسان
والاجتماع الإنساني».

وإذا كانت العلوم والمعارف الإلهية الشرعية هي
إسلامية الموضوع والكليات والمنطلقات وفيها من المدني

اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في الفروع والتجريبيات وفي التقعيد هذه علوم الكون ومعارفه بشرية مدنية الموضوع والكيان والمضامين والإسلامية التي تعني إيجاد علاقة بينها وبين السنن الإلهية التي جاء بها الوحي في الكون والإنسان والاجتماع وكذلك توظيف هذه العلوم والمعارف عن طريق أسلمة فلسفتها لتحقيق المقاصد والغايات الشرعية التي حددها الوحي حكمة لخلق الله سبحانه وتعالى للكون والإنسان

فعلاقة كتاب الوحي الإسلام بالمعارف قائمة أو تحت أن تقوم في كل أنواع المعارف والعلوم لكن المدى المحقق للإسلامية في هذه المعارف والعلوم يتفاوت «كما» و«كيفا» في «الإلهي الشرعي» منها عن «البشري المدني» كما يتفاوت في «الإنساني - الاجتماعي» منها عن «الطبيعي»

هذا عن التعريف والضبط لمصطلحات هذا الشعار

(٣)
أمثلة .. وتطبيقات

ولكن هذا هو معنى المصطلح والشعار: إسلامية المعرفة» أي إقامة العلاقة بين «الإلهي» و«الإنساني» في العلوم والمعارف والعلاقة المناسبة التي تقيم المعرفة الإنسانية على الساقين: «الإلهي» و«الكوني» فتحفظ بها وعليهما التوازن الحق، وتعصمها من «الثنائية والانشطار» وبذلك دون أن يصبح «الإنساني» «إلهيا» له قدسية الإلهي وثباته ودون أن يصبح «الإلهي» إنسانيا كما هو الحال عند الذين جعلوا الدين وضعا بشريا وإفرازا للعقل الإنساني وثمرة من ثمرات الاجتماع الإنساني. إذ كان هذا هو المعنى المراد من مصطلح والشعار فإن قضية الإسلامية

فقضية إسلامية المعرفة هي خاصة بهذه العلوم والمعارف «البشرية الإنسانية» فهي التي من الممكن أن تكون إسلامية إن قامت العلاقة بينها وبين «كتاب الوحي» ومن الممكن أن تكون «لا إسلامية» إذا وقفت معارفها عند كتاب الوجود والأدوات الحسية للإدراك

وإسلامية هذه المعارف تعني أن مصدر إدراك وتصورات ومعرفتنا لموضوعاتها حين نستحضر أسس وقوانين والضوابط والمقاصد الشرعية المتعلقة بها والتي جاءت في كتاب الوحي، وفي بيانه النبوي أي اكتشاف علاقة كتاب الوجود»

في كتاب الوحي، أثناء دراسة وتطبيق هذه العلوم البشرية المدنية الحضارية.

ولعل هذا الكتاب، عندما يركز على معنى إسلامية المعارف الإنسانية، لن يقيم السبيل ولو بشكل سريع وغير مباشر على «منهجية» «العلم الوضعي»، الذي يعتمد مذاهب المعرفة المادية والوضعية البشرية، ولحسن الحظ فليست هذه المنهجية اليوم ذات الانتصار في واقعنا الفكري، وإنما القضية الكبيرة التي تستحق التركيز عليها هي إسلامية أو لا إسلامية معارف وعلوم الإنسان.

وإذا كان الأمر كذلك، فلعل أمثلة تطبيقية على حقيقة إسلامية المعرفة في بعض فصائل هذه العلوم والمعارف البشرية الاجتماعية منها والطبيعية... لعل مثل تطبيقها على حقيقة هذه العلاقة، المحققة للإسلامية أن تكون مفيدة بل وضرورية عند هذا الحد من هذا الكتاب.

● فنحن مثلاً إذا درسنا علم الاقتصاد، باعتباره العلم الذي يبحث في مشاكل التوفيق بين الموارد المحدودة وحاجات الإنسان غير المحدودة والمتفاوتة في الأهمية أي علم تدبير الحلول لمشكلة الإنسان الاقتصادية التي تتعدد فيها غاياته وتختلف أهمية كل منها وتقل وسائل الوصول إليها مع إمكانية استعمالها في أغراض متضاربة[1]

(1) انظر في هذا التعريف: معجم العلوم الاجتماعية، وضعه «إبراهيم مدكور» طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

إن نحن درسنا علم الاقتصاد بهذا الاعتبار وفقط كانت المعرفة الاقتصادية المستخلصة من هذه الدراسة متحررة من «الإسلامية»!

أما إن نحن درسنا الاقتصاد باعتباره علم تدبير الإشباع وكفاية الاحتياجات في ضوء الموارد وعلى ضوء وفي إطار سنن الشريعة والضوابط الشرعية والمبادئ والكليات الإسلامية من مثل فلسفة الإسلام في الملكية – الله هو المالك الحقيقي مالك الرقبة – في الثروات والموارد والأموال، ونظرية الاستخلاف والخلافة الإنسانية عن الله – استخلاف الإنسان من حيث هو إنسان مستخلف عن الله في الموارد والثروات والأموال – له فيها ملكية مجازية – ملكية الانتفاع المحكومة في الحيازة وفي الاستثمار وفي الإنفاق – بمقتضى الشريعة التي هي بنود عقد وعهد التوكيل والاستخلاف.

إذا نحن درسنا الاقتصاد في ضوء هذا «الإطار الإلهي» تكون قد قمنا علمه على ساقين واستقينا معارفه من مصدرين «كتاب الوجود» – الموارد والاحتياجات – و«كتاب الوحي» – الفلسفة الإسلامية في الأموال – وهنا تتحقق «الإسلامية» لـ«المعرفة الاقتصادية» على النحو الذي يميزها عن نظيراتها في الفلسفات والمناهج المادية والوضعية.

وإن حوار نبي الله شعيب – عليه السلام – مع قومه – أهل «مدين» – والحوار الذي أرسته – والذي حكاه القرآن الكريم – حول المفاهيم الاقتصادية، وضوابطها الشرعية، وحول

التصنيفات والمعاملات الاقتصادية المضبوطة بالضوابط الدينية أو المتحررة من هذه الضوابط. في هذا الحوار لهو نموذج لهذا الذي نقول.

فشعيب عليه السلام يذكر بأن التوحيد والإيمان والصلاة والعقيدة هي أساس يقتضي ضوابط للسلوك الإنساني في الاقتصاد والمعاملات المالية. توفية المكيال والميزان بالقسط والعدل والامتناع عن بخس الناس أشياءهم في البيع والشراء والتحذير من الإفساد في الأرض. إنه يدعو قومه إلى إقامة العلاقة بين الدين وبين الاقتصاد في الفكر والتصنيفات.

أما قومه الذين عصوه فإنهم كانوا يرفضون الربط والعلاقة بين الدين وبين المعاملات المالية والاقتصادية، فهو يريد اقتصادا مضبوطا بضوابط الدين قائما على معارف الوحي والواقع، كليهما بينما هم يريدون الفصل ما بين الدين والاقتصاد!

هو يريد «إسلامية الاقتصاد» فالدين عند الله الإسلام في جميع الرسالات وعند كل المرسلين وهم يريدون تحرير الاقتصاد من العلاقة بالإسلام!

والقرآن الكريم يحكي هذا الحوار المجسد لهذه القضية والذي بدأه نبي الله شعيب عليه السلام مخاطبا قومه فقال:

﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤) ويا قوم أوفوا

مكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين * بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ﴾[1]

لكن قومه اتهموه [illegible] مستنكرين دعوته الإسلامية الاقتصادية وضبط المعاملات المالية بضوابط الدين [illegible] مدافعين عن مذهب تحرير الاقتصاد من العلاقة بالدين [illegible] ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾[2]

لقد عجبوا من ربط دعوته بين التوحيد [illegible] المعبود [illegible] وضبط التصرفات المالية بضوابط الدين ودعوة التوحيد.

فرد عليهم شعيب، معلما إياهم أن الدين [illegible] يقتضي ضبط الأموال التي هي رزق الله بضوابط الإصلاح الشرعي، وذاكرا لهم أنه يريد لهم الالتزام بما يلتزم هو به حتى لا يحل عليهم غضب الله الذي حل بالأقوام السابقين من قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام فقال:

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (88) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد﴾[3]

(1) سورة هود ٨٤ - ٨٦
(2) سورة هود ٨٧
(3) سورة هود ٨٨ ، ٨٩

على هذا النحو حكى القرآن الكريم الحوار الذي دار بين شعيب وبين قومه حول علاقة كتب الوحي .. وفقه الاقتصاد!!

فإذا حسب الإنسان نفسه سيد هذا الكون ، وعشق الإطلاق والإباحة الكاملة لحريته في التصرفات المالية ولتدابير الاقتصادية فلن يراعي في طرائق الكسب والاستثمار والإنفاق إلا منفعته ولذته ومصلحته ، وفق معايير الإنسانية المحدودة في المنفعة واللذة والمصلحة وهنا يكون الاقتصاد متحرراً من ضوابط الوحي والدين

أما إذا آمن الإنسان بأنه ليس سيد هذا الكون ، وإنما هو خليفة عن سيد هذا الكون وبارئه ورازقه سبحانه وتعالى وأنه ليس مالك الرقبة المالك الحقيقي والمطلق الحرية في الأموال والموارد والثروات وإنما هو وكيل ومستخلف في هذه الموارد والأموال والثروات فإن طرائقه عديدة في الكسب والاستثمار والإنفاق لابد وأن تكون إذا أراد أن يكون مطيعاً لمن استخلفه محكومة ومضبوطة بالإطار والفلسفة والمبادئ المتمثلة في عقد وعهد الاستخلاف أي النظرية الشرعية في الأموال وهنا ينضبط الاقتصاد بكافة التصويبات الإسلامية التي جاء بها الوحي في الكسب والاستثمار والإنفاق من مثل فلسفة الإسلام في الملكية والحيازة وأحكامه في الكنز والاحتكار والفروض التي فرضها الله في الأموال والقواعد التي قررها للمعاملات .. الخ

وهنا [نقوم] بإقامة هذه العلاقات بين آيات الاقتصاد في كتاب الوحي وبين بنات الاقتصاد من كتاب الكون لتحقيق إسلامية الاقتصاد في المعرفة وفي التطبيق.

وإن نحن درسنا علم السياسة سياسة المجتمع والدولة والعلاقات الدولية باعتبار السياسة هي [illegible] والتصور والعقل بما هو ممكن من الخيارات [illegible] والحكمة تحقيقاً للمصلحة [illegible] بالمنفعة مطلق المنفعة واكتفى بهذا العلم عند كونه من ممارسة تقاليد الحكم وعلم السلطة أو الدولة وفرع العلم الذي يبحث أصول الحكم وتنظيم شؤون الدولة تدبيراً تتحقق فيه الجودة والإتقان.

وإن نحن درسنا علم السياسة باعتبار أن هذه هي مضامينها ومقاصدها كانت السياسة متحررة ومنحلة من الإسلامية فلا تكون السياسة عندئذ سياسة شرعية. وهذا منحى في دراسة السياسة هو الذي جعلها في المنظور الغربي نفعية صرفة [illegible] دون تقيد بقيم أو بقواعد الشريعة فبررت الغاية كل الوسائل بصرف النظر عن مدى أخلاقية تلك الوسائل فكان الصراع والقوة أهم العناصر الرئيسية في المفهوم الغربي للسياسة[1]

[1] [illegible] ١٩٦٩ [illegible] ١٩٨٣م

أما إذا نحن أقمنا العلاقة بين «الإسلامية» وبين «المعرفة السياسية» أي الصلة بين «الشرعي» و«المدني» في هذا العلم الذي هو من العلوم الإنسانية المدنية فإننا سنضبط مفاهيمه وممارساته بالمنطلقات والمقاصد الشرعية.

وهذه العلاقة بين «الشرعي» و«المدني» لن تجعل السياسة دينًا جامدًا ومقدسًا ثابتًا - لأنها ليست من أركان الدين وأصول الاعتقاد وثوابت الشرع، ولم ينزل الوحي وينطق الرسول ﷺ بكل ما هو لازم لها وفيها. كما أن إقامة هذه العلاقة بين «الإسلامية» وبين «المعرفة السياسية» لا تعني بحال من الأحوال تجاهل الواقع السياسي وخبراته ولا التقليل من مكانته في المعارف السياسية ولا تجاهل «المصلحة والمنفعة» المستفادة من علم السياسة. وإنما تعني هذه العلاقة الإضافة إلى «الواقع» وضبط خبراته وليس إلغاءه وتجاهله والغض من قيمته، وضبط «المصلحة والمنفعة» وليس تجاهلها. فهي تضيف إلى «الواقع» كمصدر للمعرفة السياسية مصدر «الوحي» بسننه الإلهية في الاجتماع الإنساني وبالقيم وتكشف والمقاصد الشرعية والحكم المراد تحقيقها من الاجتماع والمجتمعات. وتضبط «المصلحة والمنفعة» حتى تكون «المصلحة الشرعية المعتبرة» وليست المصلحة المطلقة والمتحررة من أخلاقيات الدين.

فهي العلاقة التي تضيف وتضبط. تضيف «للواقع المادي» و«للمعرفة الحسية». وتضبط «الخبرات» المختارة بالمقاصد الشرعية التي حددها الإسلام لسياسة الناس.

وعندئذ لن نجد السياسة «فن الممكن من خيارات الواقع» هكذا بإطلاق.. وإنما سنجدها «الأفعال والتدابير التي تكون الناس معها أقرب إلى الصلاح» بالمعنى الإسلامي.. وأبعد عن الفساد -بالمعنى الإسلامي- حتى وإن لم ينزل بها الوحي أو يشرعها الرسول.. كما قال واحد من علماء السلف -هو- ابن عقيل البغدادي [٤٣١-٥١٣هـ ١٠٤٠-١١١٩م]

ونجد في السياسة عندئذ الكليات والمبادئ الثوابت التي تمثل «أطر» «الجزئيات» الفروع المتغيرات التي تتطور بحسب «المصلحة الشرعية المعتبرة» ووفقا لاختلافات الأزمان والأماكن ونسق العادات والأعراف[1]

وفي «السياسة الشرعية» سنجد للدولة -السلطة- معنى متميزا عن معناها في «السياسة المدنية» غير الإسلامية فهي ليست الجهاز المحايد بين طبقات وفرقاء متناقضة وليست جهاز القوة والقهر للطبقات والفرقاء المحرومين من السيطرة والسيادة فيها، وإنما هي «دولة التوازن» بين الفرقاء المتمايزين المتعددين في مجتمعها.. فالتوازن هو الوسط أي العدل بين الفرقاء المتعددين.

● فهي في قانونها توازن بين مبادئ الشريعة التي هي حاكمية الله -«الإسناد»- وبين فقه المعاملات -الفروع- الذي هو

[1] انظر ابن القيم [إعلام الموقعين] ج ٤ ص ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٥ طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م و[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] ص ١٧، ١٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م

تفرد لاجتهاد مجتهدي الأمة ينمو ويتطور مواكبة للمصالح الشرعية المعتبرة.

- وعلى قدم المساواة [illegible] ولاة الأمر وبين عامة الأمة [illegible] الأمور، وعلى مرتبة [illegible] في مرتبة الاجتهاد [illegible] فلا عصمة لمجتهد [illegible] الأمة فلاجتماعها عصمة [illegible] التي لا تجتمع على ضلالة [illegible] الرسول الذي يوحى [illegible] الذي هو معصوم فيه لا ينطق عن الهوى [illegible] الاجتهاد البشري والآراء [illegible] وعلى هذه الاجتهادات [illegible] في مرض موته عندما صعد المنبر وخطب الناس [illegible] أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد[2] مني، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد مني، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني »[3].

فلا عصمة [illegible] للأمة [illegible] وعلى [illegible] الحاكم في الاجتهاد حتى ولو كان نبياً ورسولاً،

١ [illegible]

٢ أي فليقتص.

٣ [السيرة النبوية] لابن كثير ج٤ ص[illegible] [illegible] ج١ ص٣٥٨ [illegible] وتحقيق د. محمد عمارة – طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م

● وتستمد شورى الأمة [illegible] سيادة وحاكمية الشريعة

التي هي وضع [illegible] وفي ذات الوقت هي [illegible] عليه

مرتبطة [illegible] وصورة لشرعية واحدة [illegible] حق [illegible]

[illegible] في [illegible] في موضعه حتى على

رسول الله [illegible] وشاورهم في الأمر [illegible] الأمة

المؤمنة [illegible] وأمرهم شورى بينهم

ومما رزقناهم ينفقون [illegible] وفي سيرة [illegible]

رسول الله [illegible] ولم ينقطع الوحي [illegible]

[illegible] الأمة [illegible] في كل [illegible] رسول الله

ﷺ قد قال لأبي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة

ما خالفتكما [illegible]

كل مؤمن [illegible] دون مشورة المؤمنين لأمرت [illegible] :

عبدالله بن مسعود

وعلاوة على [illegible] الأمة [illegible] الشورى الأمة

[illegible]

الأمة [illegible] مشروط ومرهون [illegible] الدولة [illegible]

[illegible] ولي الأمر

[illegible] على أولي الأمر [illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible] الكريم [illegible]

(١) سورة آل عمران ١٥٩

(٢) سوره الشورى ٣٨

(٣) رواه الإمام أحمد

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد

«الجميع» لا «الفرد». وربط الطاعة لأولى الأمر بكونهم من الأمة: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾(1). ورد حسم أمور الأمن والخوف إلى الدولة: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(2). فهو يزكي القيادة الجماعية الشورية للدولة. ويشترط لطاعة أولي الأمر من قبل الأمة أن يكونوا منها، أى موضع اختيارها ومصدر ثقتها وأهلا لقيادة دولتها وسياسة مجتمعها وتمثيل مصالحها الشرعية المعتبرة.

● ونجد في إقامة هذه «الدولة» التعددية في إطار الوحدة: تعددية أهل الشرائع الدينية المختلفة في إطار الإيمان الديني، وتعددية التيارات التي تتنوع اجتهاداتها في الفروع داخل إطار الوحدة في الأصول..

نجد ذلك -ومثله كثير- في «دولة» السياسة الشرعية التي تتميز «معرفتها السياسية» -الإسلامية- أى فقه العلاقة بين ما هو «شرعي» وما هو «مدني»، في هذا العلم من علوم الإنسانية.

● وإن نحن رسمنا موضوعات العلم الزراعي -أيضا- ومداه وقضاياه ومباحثه فإن حقائق هذا العلم وقوانينه -كواحد من العلوم الطبيعية- لن تتغاير بتغاير المعتقدات والحضارات والقوميات وبتغاير الدارسين.. ففي العلوم التي تتميز

(1) سورة النساء: 59.
(2) سورة النساء: 83.

«موضوعاتها» بالثبات والحياد تتميز حقائقها وقوانينها في الأخرى بالثبات والحياد فهي مشترك إنساني عام ليس فيه شرقي وغربي أو إسلامي ومسيحي أو مؤمن وكافر «فالواقع هو مصدر معرفتها والمحسوس هو أداة المعرفة فيها

لكن إسلامية العلم الزراعي تعني عدم تقسيم العلاقة بين المقاصد الشرعية من الزراعة وبين تطبيقات وتوظيف حقائق وقوانين هذا العلم الزراعي أي عدم تقسيم العلاقة بين خصوصية الإسلامية» في فلسفة العلم الزراعي» وبين حقائق وقوانين الزراعة التي هي مشترك إنساني عام

فحقائق وقوانين العلم الزراعي ككل حقائق وقوانين العلوم إذا تحقق وصفناها في دعم الإيمان بخالق هذا الكون الذي أمرنا بالنظر والتدبر والذي أعاننا عليه تبدت هذا الموقف لي العلماء الذين هم أكثر خشية لله لأنهم الأكثر معرفة بأسرار العلوم الكاشفة عن بعض أسرار الله في الأكوان ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(١)

أما أن لم توظف الحقائق العلمية هذا التوظيف الإيماني فإنها قد تقود وتفضي لي علماء لا يعلمون سوى ظاهر من الحياة الدنيا ومن ثم يقودهم الغرور إلى تأليه العلم والعلماء باعتباره «دين العصر» وباعتبارهم الروحيين الجدد وقد شهدنا عندما تقدمت العلوم في أوربا حديثا وفي ظل

---

(١) سورة فاطر: ٢٨

«الثابتة والوصفية [illegible] علماء [illegible] منكرة فقالوا
لقد [illegible] [illegible] عليه كبير

ووجه [illegible] [illegible] فكما يمكن توظيف حقائق العلم [illegible] الأمر [illegible] والزراعة فإن من الممكن توظيف [illegible] [illegible] لتحقيق في تحقيق مقاصد الشريعة [illegible] [illegible] [illegible] وفي المحرمات [illegible] [illegible] [illegible] زراعة [illegible] [illegible] [illegible] في زراعة [illegible] [illegible] [illegible] وقوانين الزراعة

[illegible] في [illegible] كلمة توكيد وتخصيب [illegible] الذي يستخدم في تسميد الأرض الزراعية [illegible] [illegible] في العلم [illegible] الذي هو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والفسفات [illegible] [illegible] السماد» **خصوصيات حضارية**

يمكن [illegible] استخدام وتوظيف هذا العلم [illegible] باختلاف المناطق واختلاف الحركة [illegible] [illegible] وبخلاف [illegible] [illegible] الأرض ولكنه [illegible] توظيف [illegible] هذه الكلمات.

- فالحفاظ على التوازن بين المكونات [illegible] والقوى الذاتية والعناصر الحقيقية للأرض الزراعية ومن طاقاتها في الإنتاج الزراعي وقدرتها على العطاء هو موقف [illegible] استخدام «كيمياء السماد» بالقدر الذي يحقق هذا التوازن

أما فلسفة « قهر الأرض » النابعة من فلسفة « قهر الإنسان للطبيعة » التي تعطي الإنسان أكبر عائد مادي وبأي ثمن محصور في أقصر وقت، بصرف النظر عن الأذى الذي يصيبها عندما تحول ... تركيبها نفسه الصناعي على الطبيعي فيها وعلى حساب مستقبلها، والذي هو مستقبل الأجيال التي ستحيا عليها. أما هذه الفلسفة: فلسفة قهر الطبيعة فتقضي على معدلات الوفرة المادية في اللحظات الآنية ... فلسفة « والعدم من الحاضر للأمة ... بأي ثمن وبصرف النظر عن النتائج، فإنها هي التطبيقات التي تتغاير وتختلف باختلاف الفلسفات والعقائد والحضارات.

ويصدق هذا على مشروع الغابات هو الشيء الذي يقدم الغابات ويهدد الاستمرار قوامه وحقيقته الطبيعة ... كما ... قطع ... الشيء الذي يحصل على الخشب وسائر ... وقوانينه العامة ... وقوانين الاستمرار للغابات ولا على حقائق وقوانين الفطرة لا تختلف باختلاف مذاهب الأمم والحضارات والديانات.

لكن إزالة الغابات وتجريد الأرض منها يصبح مشروعًا رهيبًا بالمخصصين الأخرى أو الانتفاع بالخشب ... أو لإقامة المشروعات غير الزراعية عليها أو ... بالتلوث والحروب دون عناية للعمل الثوري البيئي الذي يحفظ وجودها عليه ويحيى به ... وإرادته هي فلسفة مستمرة في النظرة الطبيعية، وفي التعامل مع البيئة والمحيط، إنها فلسفة التي

نشهد اليوم آثار شيوع تطبيقاتها في صور الاختلال بتوازن البيئة، الأمر الذي يجر على الإنسانية كوارث والمخاطر الجسيمة

إن الفيضانات والسيول التي تعاني منها بلاد عدة في شبه القارة الهندية، لها علاقة عضوية بتخريب جبال الهملايا من غاباتها وإن الجفاف الأساسي عن تغير مواعيد وعدد من الأمطار التي تسقط على بلاد القارة الأفريقية هو ثمرة مرة لتجريد هذه القارة من غاباتها!

ومثل هذه الأمراض تحدث وتتسع في أمريكا اللاتينية في حوض الأمازون - وغيرها من المناطق التي وظفت فيها حقائق العلم الطبيعي وقوانينه لتحصيل أكبر عائد مادي في أقصر وقت، بصرف النظر عن تأثيرات ذلك على توازن البيئة والمناخ!

وقس على ذلك قضية «كيمياء المبيدات الحشرية» تلك التي لا تتغير هي الأخرى حقائق علمها وقوانين تجاربها، ولكن فلسفات توظيفها، وأساليب استخدامها هي التي تتغير وكانت تطبيقات هذه التطبيقات قائمة على الحفاظ على توازن الوجود والأحياء ... كل الأحياء وحماية الأحياء ... وعلى عناصر الوجود كل ظواهر الوجود ... على النحو الذي سوّى فيه هذه الأمور وطبقها في نفع ورعي الحفاظ على الوجود ... ومن خلال ... تجري الأسس ... وتطبيقها فيما ... فيه الفلسفة الغربية الحديثة من تطبيقات نحرت ... الأرض من ... الثمرات!

فحقائق العلم الطبيعي لا تتغاير وقوانينه لا تختلف بتغاير واختلاف العقائد والفلسفات والحضارات، لكن فلسفة تطبيقه، ومقاصد توظيفه هي التي تختلف وتتغاير باختلاف المعتقدات وبتغاير الحضارات.

فما ندعو إليه انطلاقاً من إسلامية فلسفة العلم الطبيعي إلى التفكر في آيات كتاب الوحي التي أشارت إلى تحديد كوكب الأرض ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾(1)

ونحن مدعوون كذلك إلى النظر في الآيات التي تحدثت عن التوازن والميزان بين كل أجزاء الخلق وسائر أصناف المخلوقات

* * *

إن الوحدانية في الألوهية - ونفي التعدد فيها - هي البرهان العقلي على مصدر الوحدة والاتساق في المخلوقات ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(2) ونلحظ التعددية والتوازن لمفردات المخلوقات في كل عوالم الموجودات التي خلقها الله متعددة للتوازن ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(3) ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(4)

(1) سورة النبأ: ٦ - ٨.
(2) سورة الأنبياء: ٢١، ٢٢.
(3) سورة الرعد: ٣.
(4) سورة الذاريات: ٤٩.

بسبب هذه المقدرة في المخلوقات والتوازن بين مركباتها هي المقتضية للعدل والصلاح في هذه المخلوقات وصدق الله العظيم بقوله: «كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى»(1)

والسنن المقدرة في صفات الأرض وفي مكوناتها وقيام التوازن بين هذه الصفات وهذه المكونات والمقدرة في صفات السماء وفي مكوناتها وقيام التوازن بين هذه الصفات وهذه المكونات هو المعبر عن معالم إسلامية المعرفة في فلسفة علوم الطبيعة التي تدرس ظواهرها وقوانينها وما فيها من ثروات وطاقات

وهذا هو معنى «إسلامية فلسفة العلم الطبيعي» التي تقف عندها إسلامية المعرفة في العلوم الطبيعية ولا تتعداها إلى حقائق وقوانين هذه العلوم التي هي نتاج التجربة كمصدر أول لاكتشافاتها ولتطورها

وقس على هذا المثال ما نعنيه بإسلامية المعرفة في العلوم والمعارف الطبيعية الأخرى، فحقائق وقوانين هذه العلوم لا تتغير بتغاير المعتقدات والحضارات، لكن موضعها يكمن في اختلاف فلسفة العلم التي يعتمدها أهل التطبيق والتوظيف لهذه الحقائق والقوانين، ومثل ذلك الطب والصيدلة والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم المحضة الكونية

(1) سورة العلق ٦، ٧.

● وإذا نحن نظرنا إلى علاقة الإنسان بالبحر نجدها وثيقة وقوية
فالبحر سخره الله سبحانه وتعالى للإنسان إكراماً له
وتكريماً، وقد ورد ذلك في مواضع عديدة كثيرة من القرآن
الكريم: ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج
به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم
الأنهار ۝ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل
والنهار﴾(1) ﴿وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾(2) ﴿وهو الذي سخر
البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر
فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾(3) ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما في
الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض
إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾(4) ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما
في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾(5) ﴿الذي جعل لكم
الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون ۝ والذي نزل من
السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون ۝ والذي خلق
الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ۝ لتستووا على
ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا
هذا وما كنا له مقرنين﴾(6) ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه

(1) سورة إبراهيم ٣٢، ٣٣ — (2) سورة النحل ١٢
(3) سورة النحل ١٤ — (4) سورة الحج ٦٥
(5) سورة لقمان ٢٠ — (6) سورة الزخرف ١٠ - ١٣

بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون(12) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(1) ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون(36) لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾(2)

إذا نظرنا إلى العلاقة بين الإنسان وهذه الظواهر والقوى التي سخرها الله سبحانه وتعالى له فكيف نحدد هذه العلاقة؟ إذا كانت الإسلامية ضوابط تسيرها عن حالها إذا ما تحرر من ضوابط الإسلام.

فتسخير ظواهر الطبيعة وقواها وثرواتها لا يتحقق بقهر الإنسان لطبيعته في فلسفة هذه العلاقة والإخلال بعلاقات التوازن هو مما يتنافى مع المعنى الإسلامي لمصطلح التسخير. فتسخير الله هذه الظواهر والقوى والثروات للإنسان.

فليس «التسخير» هو السوق والقهر من الله لهذه الظواهر والقوى ولكنه بالنسبة للإنسان يعني الانتفاع. لقد سخرها الله لنا لنرتفق عنها وبها فنكون بذلك مرتفقين مرفقين بها وإلا لما كنا مخاطبين بالرفق بالحيوان الذي سخره الله لنا وليس قهرها بالرفق وتدميرها مما يتنافى مع حكمة خلقه وتسخيره للإنسان(3)

(1) سورة الجاثية: ١٢، ١٣.

(2) سورة الحج: ٣٦، ٣٧.

تلك هي «إسلامية علاقات الإنسان بظواهر الطبيعة وقوانين الأرض بطبقاتها وبحارها وأنهارها وغاباتها وجبالها.. والسماوات بطبقاتها وكواكبها ونجومها وأقمارها.. وما بين السماء والأرض من الهواء.

فهذه العلاقة الإسلامية، بحفظ الإنسان لا سلامته وسلامتها فقط، وإنما يحفظ أيضا سلام وسلامة صفحات كتاب الكون عندما يحافظ على التوازن والاتزان والميزان» هذه «الصفحات» في هذا «الكتاب»!

ونحن إذا تأملنا مدلولات مصطلح «الميزان» وبعض مشتقاته في المواطن التي جاءت بها في القرآن الكريم، سياق الحديث عن الطبيعة وقوانينها ومظاهرها وآياتها.. ستكشف لنا خطر هذا المعنى الإسلامي لعلاقة الإنسان بهذا الكون والظواهر والآيات التي سخرها الله وسخرها لهذا الإنسان: «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون * وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين * وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم * وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين»(1) فالحفاظ على علاقتنا بهذه الآيات الكونية على الميزان والقدر الإلهي.

«الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان»(2) «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط»(3) فكما أن

(1) سورة الحجر 19 - 22 (2) سورة الشورى 17
(3) سورة الحديد 25

مطالبون دائما بالحفاظ على آيات كتاب الوحي [illegible]
مطالبون كذلك بالحفاظ على سلامة [illegible] آيات
كتاب الكون والوجود»

ومن هنا لا يرى هذا المسلم حقيقة [illegible] قراءة [illegible] سلامة العلاقة بين الإنسان [illegible] في «كتاب الكون»، يراها مجسدة إذا هو تدبر الآيات الأولى من سورة الرحمن: ﴿الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الإنسان (٣) علمه البيان (٤) الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها ووضع الميزان (٧) ألا تطغوا في الميزان (٨) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩) والأرض وضعها للأنام (١٠) فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام (١١) والحب ذو العصف والريحان (١٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٣) خلق الإنسان من صلصال كالفخار (١٤) وخلق الجان من مارج من نار (١٥) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٦) رب المشرقين ورب المغربين (١٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٨) مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢١) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٢٣) وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام (٢٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ صدق الله العظيم[1].

فهذه الآيات والآلاء في «كتاب الكون» هي عناصر [illegible] كتاب الوحي [illegible] علاقات [illegible] الإنسان أن يحافظ على هذا التوازن [illegible] عندما [illegible] هذه الآلاء [illegible] هذه النعم [illegible] سلام الإنسان مع [illegible] الوجود [illegible] السلامة له ولآيات هذا الوجود.

(١) سورة الرحمن: ١ - ٢٥.

[illegible]

وبعد هذا التعريف الواضح للمصطلح «إسلامية المعرفة»

وبعد الإشارة الموجزة لأهمية سيادة هذه الرؤية «الإسلامية للمعرفة» في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفي العلوم الطبيعية، وفي علاقات الإنسان بطبيعة الكون والوجود»

يستثير سؤال جوهر القضية وحقيقة الخلاف بين «إسلامية المعرفة» وبين «لا إسلاميتها» هو الاعتراف بوجود علاقة بين مصدر الوحي وبين مصدر الوجود كمصدرين للمعرفة الإنسانية.. أو نفي وجود هذه العلاقة..

وبتعبير آخر: هل هناك سبيل آخر غير الحواس وتجاربها - هو سبيل الوحي - لإدراك وتصور وضبط معارف الإنسان في الوجود الطبيعي والإنساني؟.. أم أن «الحواس وتجاربها» هي مصدر المعرفة الحقة الوحيد في هذه العلوم، وما عداها ثمراتها من المعارف هو «ميتافيزيقا» و«خيال»؟!

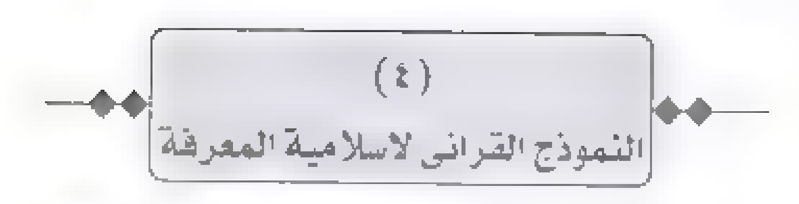
وصياغة أخرى للقضية: لقد أنزل الله، سبحانه وتعالى على محمد بن عبد الله ﷺ وحيه بالقرآن الكريم، فكان موضوعا لعلوم الشريعة في الحضارة الإسلامية، ثم وجدت وتطورت وبحث للمسلمين علومهم الدنيوية الحضارية، فهل كان للوحي وعلومه علاقات بعلوم

«الحضارة المدنية وتأثيرات فيها صنعتها مراحل متفاوتة وصنعتها على أنحاء مختلفة مصدقة للوحي وصولا للشرع الإلهي إذ ان العلاقة منفكة وانفصالية مقطوعة بين بناء الإيمان الديني و بناء التمدن الحضاري»

ان القائلين بـ«إسلامية المعرفة» يجيبون على هذا السؤال بـ«نعم» لأنهم لا يفصلون في مصادر المعرفة بين كتابي «الوحي» و«الوجود».

بينما الجاحدون لـ«إسلامية المعرفة» يجيبون على هذا السؤال بـ«لا» لأنهم لا يرون للعلوم الحضارية من وحي للعلوم الدينية مصدرا سوى الواقع الذي تدركه «الحواس» فلا شيء غير الواقع ولا سبيل للمعرفة سوى «الحواس».

تلك هي القضية.. قضية «إسلامية المعرفة» في حقيقتها وفي جوهرها.



(٤) النموذج القرآني لإسلامية المعرفة

وكما سبقت إشارتنا، فإن إسلامية المعرفة كمنهج ثقافية ورسالة فكرية، وكمنهج متميز في صياغة المعرفة الإسلامية، ليست جديدة جدة هذا العصر الذي نعيش فيه فحسب، لا، فلقد عرفتها حضارتنا الإسلامية واعتمدتها وتبنتها كبديل إسلامي للمعرفة الغربية والحديثة، معرفة الدهريين والمشركين الذين لم يروا للمعرفة مصدرا سوى الواقع المحسوس، ولم يتصوروا لهذه المعرفة أدوات ووسائل سوى الحواس. عرفت حضارتنا هذا المنهج المتميز منذ ظهور الإسلام.

وشاهدنا على هذه الحقيقة هو كتاب الإسلام الأول القرآن الكريم.

وفي اعتقادنا أن بالإمكان، بل إنه لواجب، استخلاص منهج كامل مدعم بالشواهد لإسلامية المعرفة من القرآن الكريم.

ولكن مقام هذه الدراسة لا يسمح بالإطالة في عرض هذا النموذج القرآني لمنهج إسلامية المعرفة، فلنكتف من الإشارات لعدد من الآيات القرآنية التي عرضت لهذه القضية كقضية لإقامة هذا الدين، وتبين مذاهب القرآن في هذا الموضوع.

● [illegible]

[illegible]

[illegible] سوى «العين» = «الحاسة»

[illegible] ويرى في العوالم [illegible]

[illegible] كما عرفه الإسلاميون [illegible]

● [illegible]

سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون[1].

[illegible] «بالحواس» وحقائق الوجود [illegible] على سطح [illegible].

[illegible] محسوس [illegible] في كتاب الوحي [illegible] محسوس [illegible] «محسوسا» في كتاب «الوجود».

[illegible] والمعرفة [illegible] الوجود [illegible] الدنيوي – وحده».

[illegible] في المعرفة [illegible] الوحي والوجود [illegible] ولا تدركها الحواس [illegible] العقلية الإنسانية [illegible] الآخرة [illegible] «الوحي» – نبأ السماء العظيم.

(١) سورة الروم [illegible]

● وإذ نحن تأملنا قول الله – سبحانه وتعالى –: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(١)

فإذا نحن تأملنا هذه الآيات، وجدنا نموذج ذلك الذي عبد الحس والهوى، فألغى ما وراء المادة والواقع المحسوس، ووقف بعلمه دون الأعلى الآتي بواسطة الوحي، أي وقف به في إطار العلم الدنيوي وحده، وحال بين سمعه وقلبه وبصره وبين تجاوز الواقع المحسوس.

فما جاءته آيات الله، غير المادية، وبراهينه التي لا تقف في البرهنة عند الحواس وحدها، ظل منصرفًا عنها مستمسكًا بالمحسوس وحده كمصدر وحيد للمعرفة وبالحواس فقط كسبل وحيدة للإدراك، وبلغ طلبه أن يأتي له بالموتى من آبائه ليرى منهم ويسمع بالبصر والسمع الحسيين، لا بالعقل وخبر مسطور، فهو يريد أن يعرف بالحواس معارف عالم غير المحسوس!

فمعرفة هؤلاء – حسية مادية لا دينية – غير إسلامية – لا ترقى إلى العلم الذي هو إدراك الشيء على ما هو به، وإنما مبلغها أن تقف عند الظن الذي لا يغني من الحق

(١) سورة الجاثية: ٢٣ – ٢٥.

شيئا في بعض الأحيان، ولا يعني أن أخلق كل شيء في أحيان أخرى.

- وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾[1]

عندما نتدبر هذه الآيات نعلم أن هذا الذي مر على القرية خاوية على عروشها لم يدرك الأمر إلا بما تحسه الحواس [illegible] فلم ير من هذه القرية إلا الواقع المادي المحسوس [illegible] والذي [illegible] محصور [illegible] ليس [illegible] الذي [illegible] أخلق على [illegible] مرة أخرى [illegible] فلما أراه الله سبحانه وتعالى [illegible] المحسوس [illegible] الحس المادي ووقف عنده [illegible] قال أعلم أن الله على كل شيء قدير!

- وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٧٧) وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون (٨٠) أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾[2]

[1] سورة البقرة ٢٥٩ [2] سورة يس ٧٧ - ٨١

عندما نتدبر هذه الآيات نراها تعرض [illegible] المحسوس [illegible] على وجود الصانع [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] الحواس [illegible] المحسوس [illegible] الأجسام التي [illegible] [illegible] على آخر [illegible] واخراج الميت من الحي [illegible] والموت ليست محسوسات تدركها الحواس.

ولكنه وقف في مصادر المعرفة وأدواتها عند المحسوس و«الحواس» لا يتعداهما.

- وعندما نتفكر في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ۝ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ۝ قل كونوا حجارة أو حديدا ۝ أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾[1].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ۝ أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا﴾[2].

(١) سورة الإسراء: ٤٨ - ٥١. (٢) سورة الإسراء: ٩٨ - ٩٩.

عندما نفكر في هذه الآيات نجد كيف أن الناس لم يشهدوا بالحواس [illegible] ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾(1) فهؤلاء الناس لم يشهدوا بالحواس خلق أنفسهم [illegible] لا يستطيعون [illegible] أنهم لم [illegible] عاجزين عن [illegible] لأنهم قد أدركوا ولم يشهدوا [illegible] غير التي يحصلونها بالحواس

● وعندما نتدبر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون (33) ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون (34) أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون (35) هيهات هيهات لما توعدون (36) إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين (37) إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين﴾(2)

عندما نتدبر هذه الآيات نرى كيف أدى المنهج الحسي الذي [illegible] بأصحابه إلى الإصرار على الكفر الصريح

[illegible]

(1) سورة الكهف 51

(2) سورة المؤمنون 33 – 38

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مثل «السمع والابصار»

[illegible] الارض [illegible] واختلاف الليل والنهار [illegible]

١ سورة المؤمنون ٧٨ - ٨٣

[illegible]

التراب والعظام»[1]

[illegible]

(١) سورة الصافات ١٤ - ١٧

الذي جعل أصحابه لا يدركون من الآيات من وراء ما تدركه الحواس، فهم يستبعدون في السخرية من هذه الآيات غير المحسوسة حتى لقد حسبوها لأصابهم الوهن أو ركبهم سحر سحرت به الحواس، وكيف أيضا لم يروا فيما بعد الموت لا مدركه الحواس من واقع تحول الأجساد إلى تراب وعظام!

هكذا وعلى هذا النحو وأمثاله عرض القرآن الكريم كثيرا من الأمثال التي ضربها شواهد على قصور المعرفة الحسية وحدها عن أن تدرك ما يجب أن تدركه الإنسان، وعجزها عن أن تتصور حقائق عالم الغيب فتؤمن به أو أن تحيط بما في كتاب الوحي وأنباء السماء من حقائق لا تدركها الحواس وحدها.

عرض القرآن لهذه الأمثال القيمة لتعاضد المنهج المتكامل في المعرفة، ذلك الذي يزاوج بين كتاب الوحي وكتاب الوجود مصدرين للمعرفة الإنسانية ويعتمد كل سبل الإدراك والتصور تحصيلا للمعارف والعلوم على اختلاف مصادرها.

فهو المنهج الذي يقيم العلاقة بين الوحي والوجود، بين الشرعي والمدني، منهج الإسلام للمعرفة.

وهكذا كان القرآن الكريم وهو كتاب المسلمين الأول الذي خرجت حضارتهم منه واستقوا منه علومهم، كان ولا يزال المصدر الأول لصياغة هذا المنهج الإسلامي المتميز في المعرفة

● فهو يطلب منا أن ندرك ونتدبر آيات كتاب الوحي المقروء ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾(1) والتدبر هنا لا يدركه الإنسان بمجرد الحواس فلا يقتصر [illegible] ولا يستطيع الاستيعاب المحقق [illegible] تقدير المطلوب وإنما هو العقل [illegible] من علي [illegible] ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾(2) وهنا يجب أن يكون [illegible] العقل [illegible] يتدبر ويتذكر في آيات هذا الكتاب الكريم.

● وهو القرآن الكريم [illegible] كتاب [illegible] والتفكر في آيات الكتاب الكوني المنظور ﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾(3) ﴿إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون * فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم * وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون * وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون * وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾(4) ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا

---

(1) سورة محمد ٢٤ — (2) سورة ص ٢٩

(3) سورة العنكبوت ١٩، ٢٠ — (4) سورة الأنعام ٩٥ - ٩٩

وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾(١) ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾(٢) ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾(٣).

● من هنا نعلم من القرآن الكريم أن كلا من هذين المصدرين للمعرفة يقتضي أن كليهما شرط [illegible] النبي و[illegible] إلهية وتدبير إلهي.

فإذا كان القرآن الكريم - كتاب الوحي - هو البلاغ الإلهي، وإذا كانت السنة النبوية الثابتة الصحيحة هي التبيين النبوي لهذا البلاغ الإلهي، فنحن قد عرفنا وتلقينا هذا المصدر للمعرفة من النبوة والرسالة المعصومة.

على حين نحن نتلقى علوم الكون والإنسان من سننه بالحكمة التي هي - وفق التعريف النبوي لها - الإصابة في غير النبوة(٤) ووفق المعنى اللغوي لها: معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم»(٥).

فنحن نتلقى من الرسول ﷺ كتاب الوحي، ونستخلص بالحكمة علوم الكون والقرآن يعلمنا أن كلا منهما

(١) سورة آل عمران: ١٩١ (٢) سورة الروم: ٨

(٣) سورة النحل: ٤٤

(٤) الحكمة: الإصابة في غير النبوة. رواه أحمد.

(٥) ابن منظور [لسان العرب] طبعة دار المعارف القاهرة.

«الكتاب» و «الحكمة» من عند الله مصدران للمعرفة الإنسانية ومجالان لمنهج واحد في استخلاص واستنباط وإدراك وتصور المعارف والعلوم ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾[1] ﴿واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾[2]

ومن اعتبار «كتاب الوحي» مع «كتاب الوجود» مصدرين للمعرفة لا يقف بمزيته فقط عند إضافة معارف عالم الغيب إلى «معارف عالم الشهادة» التي نستقيها من «كتاب الوجود»

وإنما يضيف هذا الموقف إلى المعارف الإنسانية عن «عالم الشهادة» إضافات كثيرة وعظيمة مصدرها «كتاب الوحي» أيضا، فكتاب الوحي الذي انفرد بعلم الغيب قد عرض لكثير من السنن والقوانين الحاكمة والهادية للإنسان

النظر في كتاب الوجود

وإذا كانت «السنن الخارقة للعادة» وهي خارقة «للعادة» - العادية - وليست خارقة للقوانين المعقولة قد اختص الله سبحانه وتعالى بها الذين اصطفاهم من الأنبياء والرسل لإقامة الحجة وتمييز الحق عن الباطل فإن السنن الجارية هي القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الوجود الطبيعي والإنساني ودعانا إلى أن نتعلمها ونكتشفها ونراعيها

(1) سورة البقرة ١٥١
(2) سورة البقرة ٢٣١

عندما ورد في الكتاب الموحى الصحيح ولاحقاً به وعليه فكل أمر المعرفة مدعو إلى تدشين تربية ... ليه شرعية فلسفية ... في عالمي الطبيعة والإنسان.

وإذا كانت الضرورة تدفعنا إلى فحص من هذه السنن التي عرض لها القرآن الكريم في صور الطبيعة وفي الإنسان، فإن الضرورة إلى فحص من هذه السنن الفاعلة في الاجتماع الإنساني كعلم يستكمل مصادر المعرفة القرآنية في عالم الشهادة، وكتاب الوجود.

- فالقرآن الكريم يتكلم عن الأقوام البائدة بين البدو والمرسلات النبيلة وبين الحاضرة التي تمثل طور الاستقرار للإنسان الأمر الذي يكشف لنا عن البعد الحضاري للدين والتدين حتى الغربة مكان القرار والاستقرار توفر إمكانات النماء وتراكم في المعارف الحضارية التي تتجسد تطبيقاتها في التمدن العمراني وهنا حياة الحضارة على النحو الذي لا يتأتى في البادية بسبب الترحال.

﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون﴾(1)

فالرسول الخاتم بعث بمكة البلد في أم القرى، وكانت هجرته إلى المدينة يثرب، وقد مثلت الهجرة في عهد النبوة انحيازاً عظيماً من التحولات التحضر ونقلة البدو إلى التحضر

(1) سورة الأنعام ٩٢

وتستمر الحضارة بالدعوة حتى لقد اعتبرت العودة إلى الجاهلية ردة عن هذه الحضارة التي انحرفت للإسلام.

وكانت [illegible] هذه النسبة [illegible] اشتراط [illegible] حضارة [illegible] بعد الحضاري [illegible] كل [illegible] ذلك

﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[2].

فهي سنة من سنن الاجتماع الإنساني نستنبطها من القرآن الكريم.

● ومن القرآن الكريم نتعلم سنة الارتباط [illegible] بالنتيجة بين [illegible] والترف والفسق ومن ثم السقوط والهلاك للاجتماع الإنساني والحضاري:

﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ۝ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ۝ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾[3].

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾[4].

(1) [illegible]

(2) سورة القصص: 59. (3) سورة القصص: 57 - 59.

(4) سورة الإسراء: 16.

«واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون»(١) «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير»(٢)

[illegible] والغنى [illegible] وهلاك [illegible] متعلمها من القرآن الكريم

- ومن [illegible] الاستغناء [illegible] الطغيان

«كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى»(٣)

فكل استغناء [illegible] هو مقدمة مفضية حتما إلى الطغيان!

- ولكن [illegible] القرآن الكريم [illegible] وحدانية الخالق هي علة انتفاء الفساد عن التدبير والرعاية الإلهية في عوالم المخلوقات الأرضية والسماوية «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»(٤) [illegible] منه كذلك سنة وقانون [illegible] في جميع عوالم وأمم المخلوقات!

(١) سورة هود: ١١٦، ١١٧.
(٢) سورة الشورى: ٢٧.
(٣) سورة العلق: ٦، ٧.
(٤) سورة الأنبياء: ٢٢.

[illegible] تعددية وتنوع [illegible] الحق في عالم الطبيعة [illegible] تعددية وتوازن في عالم [illegible] الإنساني

تعددية وتنوع [illegible] في إطار وحدة الإنسانية ووحدة الخلق

وتعدد [illegible] في [illegible] الإلهي الواحد

وتعددية وتنوع [illegible] في [illegible] الأصول في العقيدة والشريعة..

وتعددية وتوازن الأفراد والجماعات في [illegible] على [illegible] الأمم [illegible]

[illegible] ﴿[illegible] وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا [illegible]﴾[1]

﴿ومن آياته [illegible] واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾[2]

﴿و[illegible] الكتاب [illegible] من الكتاب [illegible] عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع [illegible] لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[3]

(١) سورة الحجرات: ١٣ (٢) سورة الروم: ٢٢

(٣) سورة المائدة: ٤٨

﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾[1]

● وإذا كان [illegible] الحوار [illegible] هو الذي [illegible] على الفرقة [illegible] [illegible] [illegible] الحصر [illegible] [illegible] طرف [illegible] الأطراف [illegible] [illegible] والساحة» منهم

وإذا كان [illegible] الطبيعية استمداد طرف [illegible] [illegible] الأطراف [illegible] الذي يلقي [illegible] القرآن الكريم [illegible] الذي هو حرب اجتماعي [illegible] الصراع الاجتماعي [illegible] هو سنة الله وحكمه [illegible] ظاهرة من ظواهر الاجتماع [illegible] في [illegible] من الفرقة.

﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾[2].

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس

(1) سورة هود ١١٨، ١١٩.
(2) سورة البقرة ٢٥١.

بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾(١).

﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون﴾(٢).

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾(٣).

تلك هي إشارات إلى بعض من سنن الاجتماع الإنساني التي تعلمنا إياها كتب الوحي – القرآن الكريم – في علم فقه مصدرا لمعرفة في عالم الشهادة، يقوم جنبا إلى جنب مع دوره كمصدر وأداة لعلم عالم الغيب الذي لا تدركه تجارب الحواس.

• • •

وعلى درب هذا البلاغ الإلهي – القرآن الكريم – سار البلاغ النبوي – سنة الرسول ﷺ.

فلقد غدا الوحي مصدرا لمعرفة العديد من سنن الاجتماع الإنساني، ومعارف عالم الشهادة، كما كانت السنة النبوية التي هي تطبيق النبوة للوحي الإلهي، تمثل هي الأخرى مصدرا لمعرفة العديد من سنن هذا الاجتماع.

• فالقرآن العصبية والشوكة والمنعة القومية بالنسبة للرسول – أي رسول – اعتبرها بالتحديد الذي حرره

(١) سورة الحج ٣٩، ٤٠
(٢) سورة المؤمنون ٩٦
(٣) سورة فصلت ٣٤

رسالته في مواجهة الخصوم المنكرين هي سنة من سنن الاجتماع الديني تنسحب إلى سنن الاجتماع الإنساني نتعلمها من سنة رسول الله ﷺ.

ففي تفسير [illegible] واستبيان الرسالي يقول الله سبحانه وتعالى عن لوط وقومه: ﴿[illegible] لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾(1) يقول الرسول ﷺ: «قد كان (لوط) يأوي إلى ركن شديد (الملائكة) [illegible] ولكنه (أي لوط) عنى عشيرته فما بعث الله عز وجل بعده نبيا إلا بعثه في ثروة قومه».

قال أبو عمر: «فما بعث الله عز وجل نبيا بعده إلا في منعة من قومه»(2).

• دور العصبة [illegible] في حماية [illegible] الدعوة الإسلامية [illegible] في الأسلوب للدعوة [illegible] وكثير من أهل تلك العصبة على الشرك مثل أبي طالب والعباس بن عبد المطلب وحلفاء المؤمنين [illegible] المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية في شعب بني هاشم [illegible] هذه سنة من سنن الله في الدعوات والرسالات.

• ويقترن إقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي فريضة جماعية كفائية تعني عموم المشاركة [illegible] من المسلم في شؤون الاجتماع الإسلامي فقرن إقامة هذه الفريضة بتقدم الاجتماع وازدهاره واقتران إهمالها بالنكوص

(1) سورة هود: 80
(2) رواه الإمام أحمد

عنها بتدهور الاجتماع وهلاك نظمه وسيادة المظالم والفوضى فيه. سنة من سنن الله في هذا الاجتماع تحدث عنها البيان النبوي في حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه[1] على الحق أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم»[2]

فمقاومة الجور والظلم هي التي تحفظ على الاجتماع الإنساني المعنى الحق للحياة: «إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك ظالم فقد تودع منهم»[3]

● وهذه السنة وثيقة الصلة -في خصوصيتها- بسنة أخرى نتعلمها من حديث رسول الله ﷺ الذي يصور فيه قانون تعاقب العدل والجور والجبر واليسر في الاجتماع الإنساني.. وصلة هذه انبثاقها من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتحدث الرسول ﷺ عن سنة وقانون تعاقب العدل والجور على الاجتماع الإنساني فيقول: «لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره»[4]

(١) أي تحصرونه على الحق قسرا

(٢) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والإمام أحمد

(٣) رواه الإمام أحمد

(٤) رواه الإمام أحمد

وكذلك [illegible] الخير والشر فحذيفة بن اليمان رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ: يا رسول الله أيكون بعد الخير الذي أعطيتنا شر كما كان قبله؟

قال: نعم.

فسأله حذيفة: فما العصمة؟

- قال: بالسيف».(1)

● وهذا النص يصف الحالة التي [illegible] من حديث رسول الله ﷺ [illegible] في تجمع القوة قوة الاجتماع الإنساني قوامها الفداء والجهاد والاستشهاد حتى وإن قل عدد الأمة [illegible] ويقابل الوهن والإخلاد والتخلي عن الفداء والجهاد والاستشهاد حتى وإن كثرت الأعداد. فرسول الله ﷺ يتحدث عن هذه النسب في حديث [illegible] وبين [illegible] والذي [illegible]:

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها».

فقالوا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟

قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن.

- فقالوا: وما الوهن؟

قال: حب الحياة وكراهية الموت».

(1) رواه أبو داود والإمام أحمد.
(2) رواه أبو داود والإمام أحمد.

● وإلى جانب من هذه الحقيقة تشير الأحاديث النبوية التي تتحدث عن سنة [illegible] والركون عنه بالأذناب فالركون [illegible] لا يحميه [illegible] إلى [illegible] من الاحتماء [illegible] «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم»(1)

[illegible] من [illegible] والاستمرار [illegible] والجهاد [illegible] هذه الحياة كما [illegible] التي لا [illegible]

وإلى هذه السنة يشير الحديث النبوي الذي يقول فيه ﷺ «لا يزال أهل الغرب أي أهل [illegible] والجلد ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»(3)

وبما أن حمل [illegible] والرسالة قد [illegible] هذه الأمة في يوم الدين الحقيقة المترتبة على حمل الإسلام حتى يوم الدين، فكانت سنة [illegible] من أفراد الأمة على أمر الله «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»(4)

(1) [illegible]

(2) [illegible]

(3، 4) رواه مسلم

وهذه الجماعة (الأمة) هي التي عصمها الله من الاجتماع والإجماع على الضلال: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»[1].

فحقق الله [illegible] وعده [illegible] نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[2] [illegible] إلى دوام [illegible] ولن [illegible] دون دوام حرب مع أعداء الإسلام والمسلمين: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله»[3].

هكذا، ومن خلال هذه الإشارات إلى عدد من السنن والقوانين التي جاءت في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، رأينا كيف كان كتاب الوحي - بلاغة القرآن وبيانه النبوي - مصدرا للمعرفة في عالم الشهادة، والاجتماع الإنساني، إلى جانب كونه المصدر لمعارف الإنسان عن عالم الغيب الذي لا تستقل بإدراكه العقول، ولا تخضع معرفته للحس والتجريب.

وأخيرا، فمن [illegible] لا نتأمل قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[4] ولا نرى وندرك [illegible] على وجه اليقين [illegible] كيف جعل

(1) رواه ابن ماجه. (2) سورة الحجر: 9.
(3) رواه البخاري ومسلم والترمذي والإمام أحمد.
(4) سورة الإسراء: 36.

القرآن الكريم سبل العلم والمعرفة [illegible] [illegible] [illegible]
السمع [illegible] البصر [illegible] [illegible] في سبل المعرفة
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عن العلم
والمعرفة [مسئولاً]

[illegible] في سلامة المعرفة الإسلامية التي في المعرفة وعلى
هذا النحو [illegible] القرآن الكريم [illegible] [illegible]
الحسي في المعرفة [illegible] [illegible] دوائر المشركين
والدهريين

وعلى هذا النحو [illegible] كتاب الوحي [illegible] في هذا [illegible]
مصدرا للمعرفة في عالم الغيب والشهادة [illegible] مراتب
معرفة وكشفت [illegible] عن كثير من السنن [illegible] في [illegible]
كتاب الوجود، [illegible] منها ما كان [illegible] العلوم [illegible]
التجريبية و[illegible] الظواهر وعلوم الاجتماع الإنساني

فهو [illegible] وهي صفات تحققها إسلامية المعرفة في هذه
الميادين

(٥)
وبعد الفتوحات الإسلامية

وما إن انتهى القرن الهجرى الأول، حتى كانت الفتوحات [illegible]
الإسلامية قد [illegible] الدولة الإسلامية [illegible]
[illegible] وأصبحت كل الديانات السماوية [illegible]
[illegible] اللاهوتية [illegible]
والفلسفية [illegible] في دولة الإسلام [illegible]
الدولة [illegible]
قرون [illegible] وإذا [illegible]
[illegible] إلى إقامة الأديان [illegible]
[illegible] العقيدة [illegible]
الثقافة [illegible]

وفي خضم [illegible] الفكرى الذى [illegible] بين الإسلام
وبين [illegible] والنحل والفلسفات غير الإسلامية، [illegible]

[illegible]
[illegible] عبدالمجيد عابدين، إسماعيل الصحراوى - طبعة
[illegible] الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى]
المجلد الأول ص ٧٥، ٨٤، [illegible] ترجمة د. محمد عبدالهادى أبو ريدة - طبعة
بيروت سنة ١٩٦٧م

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦

[illegible] الإسلامية علوم [illegible]

[illegible] الفكري و ثقافة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

عهد الرسول ﷺ

ولقد [illegible] المسلمون [illegible] واجهوا خلال هذا [illegible] الفكري [illegible] المعرفة عبر [illegible] الإسلامية [illegible]

معرفتنا الإسلامية واجهوا

- [illegible]

- [illegible]

- [illegible] الإسلام و [illegible] الإسلام و المسلمين

وأمام هذه "المقالات" غير الإسلامية وفي مواجهتها وفي خضم التدافع الفكري معها شهدت حضارتنا فن التأليف في [مقالات الإسلاميين] ورأينا - ونحن نراجع عناوين مؤلفات سلفنا في تلك القرون - تلك الثروة الضخمة من المؤلفات التي تخصصت في الرد على مقالات أهل الديانات والمذاهب والنحل والفلسفات.

وعلى سبيل المثال:

● فلقد أرخوا لشيخ المعتزلة أبو حذيفة واصل بن عطاء [٨٠ - ١٣١هـ = ٦٩٩ - ٧٤٨م] يقولون: إنه لم يبلغ الثلاثين من عمره حتى كان قد فرغ من الرد على كل المخالفين، ومن عناوين الكتب التي ألفها [كتاب الألف مسألة] وجميعها في الرد على مذهب المانوية الفارسية.

ومما تذكره كتب هذا الفن فن [مقالات الإسلاميين] من وقائع التدافع الفكري بين الإسلامية والمعرفة التي صورها الإسلام وبين مذهب السمنية الوضعية - غير المؤمنة - إلا بـ "المعرفة الحسية" تلك الحوارات التي دارت بين علماء الإسلام وبين علماء فرقة "السمنية" - وهي مذهب من مذاهب الديانات الوضعية الهندية تنكر أهله الوحي والنبوة والرسالة ويقولون: لا طريق للعلم سوى الحس[1]

(١) التهانوي [كشاف اصطلاحات الفنون] طبعة الهند سنة ١٨٦٢م

[illegible] المعرفة [illegible]

[illegible]

التي يصدق عليها هذا الاصطلاح

[illegible]

[illegible] الإسلام في المعرفة [illegible]

[illegible]

[مقالات الإسلاميين [illegible] ٣١٩هـ ٩٣١م]

[illegible]

[illegible] المشاعر الخمسة

– فقال لا

[illegible]

هذه المشاعر"

– قال لا،

فلو قال كل المعروف لا يخرج عن ذلك وليس معقولا منها، فقد دخل في المجهول،

فسكت جهم

[illegible]

على هذا النحو [illegible]

يقول

[illegible]

[illegible] «يعيره»

هنا في هذا الجزء من هذا النص يقدم واصل بن عطاء الصيغة الإسلامية من نظرية المعرفة فهو لا ينكر معرفة الحس ولكنه لا يقتصر عليها وإنما يضيف إليها [illegible] المعرفة [illegible] الحواس [illegible] بمثابة الأداة [illegible] [illegible] وهي من أسباب المعرفة والعلوم غير [illegible] والتي لا تخضع لتجربة الحس والحواس.

والدليل لغة هو المرشد والمبين، واصطلاحا هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، هو الذي يقود العقل إلى التسليم بحقيقة قضية كانت موضع شك من قبل، وقد يكون مجرد أمارة أو ظاهرة معينة أو شهادة شاهد أو صورة من الاستدلال المنطقي[1].

فالدليل ليس فقط الحسية التي تدرك المحسوس بل قد يكون لازم العلم بالمحسوس ولا يتصل به بشكل مباشر كما في الإدراك بالحواس، ومثاله أن يلزم من العلم بالمحسوس المصنوع وهو محسوس العلم بوجود الصانع للمصنوع وهو معلوم غير محسوس، لا تدركه الحواس.

لقد أضاف واصل بن عطاء العقل إلى الحواس الخمسة فالعقل عنده لا يقل أهمية عن المعرفة الحسية حتى تكتمل المعرفة عنده [illegible] المحسوس و[illegible] الإدراك عند الحواس الخمسة.

(١) [illegible] المعجم الفلسفي [illegible] القاهرة

ونحن [illegible] التي [illegible] من [illegible]

[illegible] لمعرفة الأساليب [illegible]

التي [illegible] الإسلاميون [illegible]

لقد [illegible] أن نقول [illegible] التي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] العقل [illegible]

[illegible]

و [illegible] عن [illegible]

[illegible] العربي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] عن الحقيقة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الأخلاقية [illegible]

[illegible]

[illegible] عطاء في حديثه عن [illegible]

[illegible]

فريها تقول

[illegible]

به على السمية، فقالوا له

[illegible]

[illegible]

عند المحسوس المدرك بالحواس

[illegible] ص ٢٢٦ – تحقيق فؤاد سيد – طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م

وقد كانت [illegible] الإسلامية قد بدأت [illegible] الترجمة بعلوم [illegible]

[illegible] علوم [illegible] أي علوم الطبيعة [illegible] التي هي [illegible]

[illegible] في عام [illegible] وقد [illegible] مشروع الأمير الأموي [illegible]

[illegible] [ت ٩٠هـ - ٧٠٨م] كما أنها قد عرفت في القرن [illegible] بعد [illegible]

هذه العلوم [illegible]

الثالث الهجري أصبحت الفلسفة اليونانية معروفة لدى العقل

العربي فهذا هو الكندي يعقوب بن إسحاق [ت ٢٦٠هـ - ٨٧٣م]

أصبح أرسطو [٣٨٤ - ٣٢٢ ق م] حاضرا في المكتبة العربية

الإسلامية [illegible] المعلم الأول [illegible]

العربي [illegible] كتب [illegible] [illegible]

[illegible] الأندلسي [illegible] ولم يكن

في الإسلام فيلسوف [illegible] في [illegible]

أرسطاطاليس [illegible]

[illegible] في المعرفة [illegible] في [illegible]

البرهان [illegible] في [illegible] الفكر الإسلامي [illegible]

جديد [illegible] غير الإسلاميين

وهكذا [illegible] هذه المقالات غير الإسلامية

مقالات الإسلاميين [illegible] حركة [illegible]

[مقالات الإسلاميين] [illegible]

الأشعري أبو الحسن [٢٦٠ - ٣٢٤هـ ٨٧٤ - ٩٣٦م] [illegible]

[illegible] وكتب العامري أبو الحسن محمد بن يوسف

[illegible]
طبعة القاهرة سنة ١٩٤٥م

[٣٨١هـ - ٩٩٢م] [الإعلام بمناقب الإسلام] والذي يعد أول أثر فكري [illegible] في [illegible] - الإسلام واليهودية - والنصرانية [illegible] - وهو الكتاب الذي [illegible] الإسلام [illegible] غيره من الأديان؟»

[illegible] الفكري [illegible] الإسلامي في [illegible] المعرفة [illegible] الإسلاميين [illegible] الأعمال الفكرية [illegible] الأديان [الفصل في الملل والأهواء والنحل] لابن حزم الأندلسي [٣٨٤ - ٤٥٦هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٤م] و[الملل والنحل] [illegible] [illegible] محمد بن عبد الكريم [٤٧٩ - ٥٤٨هـ / ١٠٨٦ - ١١٥٣م] [illegible] أبي حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ - ١١١١م] [illegible] الإسلامي [illegible] القرافي [illegible] [illegible] و[illegible] و[الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح] و[illegible] [illegible] الإسلام [illegible] أحمد بن عبد الحليم [٦٦١ - ٧٢٨هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨م] [illegible] الإسلامي في [illegible] الإسلام [illegible] الإسلام [illegible] [illegible]

جهة [الجمع بين العقل والنقل] و[...] ومن جهة تتفق مع صحيح المنقول] و[نقض المنطق] [illegible] بناء منطق إسلامي لنقد المنطق الأرسطي [illegible] الإسلام [illegible] منطق أرسطو [illegible] ونبيها [illegible] على ابن عربي و[illegible] [illegible] المستقيم [illegible] أهل الجحيم] [illegible]

وفي [illegible] المعرفة الإسلامي [illegible] المعرفة [illegible] الإسلامية [illegible] ابن [illegible] [١١٦ - ٨٠٠هـ / ١٣٠٢ - ١٤٣٦م] [illegible] [illegible] الإسلامية المعرفة [illegible]

الحسية غير الإسلامية

وهكذا [illegible] المعرفة الحسية [illegible] [illegible] المعرفة [illegible] الإسلاميين

لقد [illegible] الإسلامي [illegible] المعرفة [illegible]

التدافع الفكري عبر تلك القرون

(٦)
والبديل للوضعية الغربية الحديثة

[illegible] الإسلامية في ضوء تراجع والجمود [illegible] الحديث [illegible][1] فقد [illegible] الحق [illegible] العقل الإسلامي في مجال الجمود و[illegible] التراجع مع الإحياء والنهضة للحضارة الغربية في أوروبا

ولقد قدمت النهضة الغربية الحديثة في مناهج المعرفة ونظرياتها [illegible] عن [illegible] تلك المناهج التي سادت في تلك الحضارة [illegible] عصورها الوسطى والمظلمة

كانت الكنيسة الكاثوليكية [illegible] هيمنتها على الحضارة الغربية - سواء في ظل القيصرية الدنيوية التي هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية - أو في ظل [illegible] القيصرية [illegible] عندما أصبح [illegible] قاصرة - أيضا - كانت هذه الكنيسة قد جعلت اللاهوت هو مصدر المعرفة الوحيد [illegible] المعرفة وثبتها [illegible] عندما [illegible] قدسية الدين وثباته [illegible] الواقع عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة [illegible] عن ثمرات معرفة هذا

(١) [illegible] الطريق إلى اليقظة الإسلامية [illegible] ومضامره ص ١٨ - ١٣٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م

«الواقع». ومن هنا كان «التحريم» للمكتشفات الجديدة والحرمان الديني لمن يطلبون المعرفة خارج اللاهوت.

لقد جعلت الكنيسة من المعرفة شأنا سماويا خالصا لا مكان فيه للواقع وأدوات إدراكه وتصوره. فجاءت النهضة الغربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف الكنسي لتجعل من «الواقع المحسوس» المصدر الوحيد للمعرفة وتجعل من التجربة الحسية - المذاهب التجريبية بأنواعها - السبيل الوحيد لتحصيل المعارف والعلوم.

لقد فتحت هذه النهضة الغربية الحديثة صفحة جديدة للمنهج المعرفة الحسية الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب المدارس الوضعية - والذي أشرت إلى النسبية المؤدية له ... بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن «الدين وضع بشري»، وليس وضعا إلهيا. وذلك عندما أنكرت هذه الوضعية «الوحي» كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية واعتبرته - في أحسن الحالات - وهما وأسطورة اخترعتها ميتافيزيقيا وخيالات إن جاز أن تكون تصورات لمرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني فغير جائز أن تكون «معرفة» بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح!

لقد قال الوضعيون الغربيون: «إن العقل الإنساني قد مر بمراحل ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية وحالة

(٦)
والبديل للوضعية الغربية الحديثة

على حين دخلت حضارتنا الإسلامية في طور التراجع والجمود ... الأسباب ... [1] ... الإسلامي في مجال ... التراجع مع الإحياء والنهضة للحضارة الغربية في أوربا

وقد قامت النهضة الغربية الحديثة في مناهجها المعرفية ونظرياتها ... فعل عنيف ومناقض لتلك المناهج التي سادت في تلك الحضارة في عصورها الوسطى والمظلمة

كانت الكنيسة الكاثوليكية إبان هيمنتها على الحضارة الغربية سواء في ظل القيصرية البابوية التي هيمنت فيها الكنيسة على السلطة الزمنية أو في ظل البابوية القيصرية عندما أصبح البابوات قياصرة ... كانت هذه الكنيسة قد جعلت اللاهوت هو مصدر المعرفة الوحيد فقدست المعرفة ونسبتها ... عندما جعلت لها قدسية الدين وثباته وعزلتها الواقع عن أن يكون المصدر الثاني للمعرفة ... الشرعية عن ثمرات معرفة هذا

(1) انظر كتابنا [illegible] النهضة الإسلامية [illegible]
ومظاهره - ص ١٨ - ١٣٨ - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م

«الواقع» ومن هنا كان «التحريم» للمكتشفات الجديدة و«الحرمان الديني» لمن يطلبون المعرفة خارج اللاهوت.

لقد جعلت الكنيسة من «المعرفة» شأنًا سماويًا خالصًا، لا مكان فيه للواقع ودون إدراكه وتصوره. فجاءت النهضة الغربية الحديثة كرد فعل عنيف ومضاد لهذا الموقف لكي تجعل من «الواقع المحسوس» المصدر الوحيد للمعرفة وتجعل من التجربة الحسية - المذهب التجريبي بتنوعاته - السبيل الوحيد لتحصيل المعارف والعلوم.

لقد فتحت هذه النهضة الغربية الحديثة صفحة جديدة لمنهج المعرفة الحسية الذي عرفه تاريخ الفكر البشري لدى أصحاب الديانات الوضعية - والذي أشرنا إلى «السمنية» نموذجًا له - بل لقد تصاعد رد الفعل هذا بتيارات الوضعية الغربية إلى حد الزعم بأن الدين «وضع بشري» وليس وضعًا إلهيًا. وذلك عندما أنكرت هذه الوضعية الوحي كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية واعتبرته - في أحسن الحالات - وهمًا وتخيلات الشعراء - ميتافيزيقيا وخيالات إن جاز أن تكون تصورات لمرحلة من مراحل طفولة وسذاجة العقل الإنساني فغير جائز أن تكون «معرفة» بالمعنى الدقيق لهذا الاصطلاح!

لقد قال الوضعيون الغربيون: إن العقل الإنساني قد مر بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية وحالة

واقعية» هي تلك التي عدّ «الواقع» فيها المصدر الوحيد للمعرفة الحقة، فالحق بمنطقهم، هو ثمرة التجربة وحدها"(1)

وكما قال «السمنية» القدماء: إن ما عدا «المعروف بالحواس» هو مجهول» قال أبو المذهب الوضعي أوجست كونت [١٧٩٨ - ١٨٥٧م]: إن ما عدا «الواقع» المحسوس هو «وهم» من الأوهام! «والفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعية المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، ومن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية. فالتجربة هي مصدر المعرفة الحقة الوحيد ومن ثم فإنه يجب العدول عن كل بحث في العلل والغايات ومن المبادئ الأولية. فكل المعرفة مستمدة من الحس والتجربة المباشرة، وليس من الفطرة أو المصدر العقلي والنظري والاستنباطي"(2). أما مصدر الوحي، فقد اعتبرته الوضعية إفرازا بشريا تلاءم مع مرحلة الطفولة التي مر بها العقل البشري قبل أن يصل إلى الوضعية التجريبية، عبر الميتافيزيقا»

ولقد شابهت هذه الوضعية الغربية الحديثة، في منهجها هذا في المعرفة، أسلافها القدماء من أبناء الديانات الشرقية الوضعية مثل «السمنية» التي أشرنا إليها. فعندما سارت على درب «حدود العلم بالحس»! فقلبت به الدين الوضعي. فكتب أوجست كونت كتابه [تعاليم الدين الوضعي] سنة ١٨٥٢م

(١) انظر: [المعجم الفلسفي] مادة «المذهب الوضعي» تأليف مراد وهبه ويوسف كرم، ويوسف شلالة.

(٢) المرجع السابق. وانظر كذلك مادة «تجريبي» في [المعجم الفلسفي] وضع مجمع اللغة العربية، القاهرة.

وفي هذا «الدين الوضعي» جعل هو «المتنبي الوضعي الجديد»!

- العبادة للكائن الأعظم.. الذي رمز له بصورة لأنثى.. في معابد تحتوي على تماثيل نصفية لمن رأى فيهم خدمة إلى الإنسانية!

- وجعل لهذا الدين الوضعي «تقويما وضعيا» تسمى شهوره بأسماء موسى وأرسطو وفردريك الثاني.. وغيرهم من أمثالهم!

- أما أعياد هذا الدين، فهي احتفالات بالعظماء.. وقد جعل أوجست كونت من هؤلاء العظماء الذين تقام الأعياد احتفالا بهم «أصدقاءه» الذين ساندوه في محاولته الفاشلة للحصول على منصب الأستاذية بمدرسة الفنون التطبيقية.

- أما روحانيو هذا الدين الوضعي، فهم العلماء التجريبيون بدلا من رجال اللاهوت»[1]!

فهي إذن «الردة العميقة» و«رد الفعل العنيف» على الموقف الكنسي والمذهب اللاهوتي في مصدر المعرفة وسبل تحصيلها.. لقد جعلت الكنيسة المعرفة نبأ سماويا خالصا لا علاقة له «بالواقع».. فجاءت الوضعية لتجعلها نبأ أرضيا «واقعيا» خالصا لا علاقة له بالوحي ولا نبأ السماء!

(1) انظر (الموسوعة الفلسفية المختصرة) ص ٢٦٧. ترجمة: ... ومراجعة: ... زكي نجيب محمود - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م.

والأمر الذي يؤكد هذه الحقيقة هو ما ذهب إليه أبو الوضعية الغربية و[illegible] المذهب الوضعي الحديث في تقسيمه لمراحل تطور المعارف والعلوم على مراحل ثلاث

١- المرحلة اللاهوتية: وهي مرحلة الحكم الديني [illegible] التي تسلطت فيها السلطة من قوى السلطة الدينية وقيود الكهنة الروحانية.

٢- والمرحلة الميتافيزيقية: التي حدث فيها نوع من الفوضى تعرضت فيها كل من السلطة الدينية والسلطة الروحانية للهجوم.

٣- والمرحلة الوضعية: التي تكون فيها رجال العلم [illegible] قوة روحية جديدة وتسود فيها المعرفة الوضعية وتتجه [illegible] وتصبح كل العلوم حتى الإنسانية منها وضعية في مناهجها وفي مرحلة [illegible] والموضوعية و[illegible] ومقولاتها حتى لقد أطلق على علم الاجتماع [illegible] الفيزيقا الاجتماعية[1] وقال أيضاً: إننا مادمنا نفكر بشكل وضعي في مواد علم الفلك أو الفيزياء لم يعد بإمكاننا أن نفكر بطريقة مغايرة في مواد السياسة أو الدين فالمنهج الوضعي الذي نجح في علوم الطبيعة يجب أن يمتد إلى كل مجالات التفكير[2]

(١) المرجع السابق، ص٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) [illegible] الوضعية [illegible] ص٢٨ رسالة ماجستير تحت الطبع

لأنه قد رأى كل أبعاد التفكير وكل ألوان المعرفة وكافة العلوم صادرة عن مصدر واحد للمعرفة هو «الواقع المحسوس» فكل المعارف «تجريبية» ومن ثم يمكن التعبير عنها «بلغة الفيزيق».[1]

هكذا بدأت وتطورت «الوضعية الغربية» بمدارسها المختلفة وانقساماتها التي تمايزت في الفروع والتخصصات الوضعية والوضعية المنطقية والتجريبية والسلوكية والمادية بمذاهبها وفروعها الخ الخ

فكما جرّم اللاهوت الكنسي الغربي المعرفة «الواقعية» لجاليليو [١٥٦٤ - ١٦٤٢م] جرّمت الوضعية الغربية المعرفة الإيمانية، معتبرة إياها إفرازًا بشريًا طفوليًا، تجاوزه عقل البشري عندما تجاوزت الإنسانية مرحلة طفولتها

وهكذا عاد الخلل إلى مصادر المعرفة وإلى أدواتها عندما قامت على ساق واحدة هي «كتاب الوجود» معرضة عن ساقها الأخرى، «كتاب الوحي» عاد إليها هذا الخلل القديم من جديد!

لقد غدت الوضعية «دين الفكر الغربي»، الذي استبدل «بدين الإيمان السماوي» ثم اتخذت الأشكال المتعددة في الميادين المختلفة

(١) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص ٤١٧

● فهي قد جعلت «الوعي» نشاطاً مادياً هو انعكاس للدماغ»، الذي حسبته «العقل»، أي أنها قد جعلت «العقل» و«التعقل» مادة حتى لا يكون هناك شيء في الإدراك والمعرفة غير الحس والمحسوس والحواس.. وقال هكسلي «توماس هـ.» [١٨٢٥ - ١٨٩٥م]: «يبدو أن الوعي متصل بآليات الجسم كنتيجة ثانوية لعمل الجسم لا أكثر، وأن ليس له أي قدرة كانت على تعديل عمل الجسم، مثلما يلازم صفير البخار حركة القاطرة دونما تأثير على سيرها.. وقال أيضاً في سياق الادعاء بهذه المادية الميكانيكية: إن الأفكار التي أعبر عنها بالنطق وأفكارك فيما يتعلق بها إنما هي عبارة عن تغيرات جزيئية»[1].

وهكذا غدت هذه المعرفة حسية، التي تنكرت لما دون المحسوس والمحسوس.. كانت صاحبتها ذات نظرية «جديدة» في الاعتقاد

فالدهريون الأول قد قالوا: «ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»[2]. ورأوا في الموت نهاية كل شيء، يستوي في ذلك «الجسم» و«العقل» و«النفس» و«الروح» و«الفكر» و«الإرادة».. فالناس - كما قالوا - هم مثل الزرع مرآه مختلف ألوانه، ثم ينتشر حصاداً لا عودة له ولا بعث ولا نشور لأنه - كما قال هؤلاء الماديون - «إذا كان التفكير والإرادة تنتقص من أنسجة الدماغ فستنتهيان بفناء الدماغ وإذا كان

(١) روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو [العلم في منظوره الجديد] ص ٣٥، ٣٦، ترجمة كمال خلايلي - طبعة الكويت - عالم المعرفة سنة ١٩٨٩م.

(٢) سورة الجاثية: ٢٤

كل جزء من أجزاء الإنسان مادة قابلة للفناء حتى يكون كل جزء منه عرضة للفناء»(1)

وانطلاقا من هذه الفلسفة انبرى العالم الغربي [illegible] تشارلز [١٨٠٩-١٨٨٢م] فقصر [illegible] على النظرية [illegible] نشأة الأحياء تفسيرا ماديا [illegible] إلى هذه النتيجة [illegible] بعينه فهي الصدفة [illegible] ذاتية بواسطة التفاعلات والتغيرات الجزئية التي عرفت المواد الأولية التي تحققت بسببها كما تحقق النوع [illegible] من مادة [illegible] بالتغيرات الجزئية فما قاله هكسلي في عالم الأفكار قاله داروين في عالم الأحياء.

وتطبيق لهذه النزعة المادية - في عالمي الأفكار والأحياء، في الاجتماع والأموال والثروات والاقتصاد. قال ماركس [كارل ١٨١٧-١٨٨٣م] إن تطور المجتمعات والاجتماع البشري إنما هو بتأثير العامل الأول الواقع المادي والاقتصادي وقوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج، فالمعرفة مادية تعكس الواقع في الفكر، وهي قائمة على الممارسة تبدأ بالإدراكات الحسية للأشياء(2) ولا شيء غير الواقع المنعكس في فكر الإنسان بواسطة مادة الدماغ [illegible] الله والدين، وكل ما جاءت به الكتب الدينية، فهو خيال وخرافة اخترعها المحرومون تسلية لأنفسهم، أو الخلفاء الأغنياء تخديرا للفقراء.

(1) [العلم في منظوره الجديد] ص ٢٠
(2) [الموسوعة الفلسفية] [illegible] وضعه لجنة من العلماء السوفيت ترجمة سمير كرم - طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

وقد تصاعدت الماركسية بهذه «الدهرية» المبكرة للعصر
الوحي واتجهت به للدين عن مستوى «تحرير» [illegible] إلى
حين جعلته «بنية فوقية» تعكس الجوانب المادية لمجتمعاته
على الأسس ومجتمعاتها باعتلاء الدين والتدين انعكاسًا من
هذه المجتمعات جاعلة من هذه البنية جزءًا لا يتجزأ من
«تحريرها» الإنسان من «القيود»!

لقد تنوعت مدارس الفكر الغربي ومذاهبه وتعددت في إطار
نهضته الحديثة للعلوم والمعارف والتخصصات لكن الوضعية
والنزعة المادية والمذهب الحسي في المعرفة كانت القاسم
المشترك الأعظم في معظم هذه المدارس والمذاهب والمعارف
والتخصصات حتى لقد اصطبغ فكر النهضة الغربية الحديثة
بهذا الطابع المادي الحسي إلى حد كبير.

ولقد تزامنت هذه مع تراجع الحضارة الإسلامية وبدء موجة
الاستعمار الغربية الحديثة التي جلبت إلى البلاد الإسلامية
بعد خضوعها لهيمنة هذه الموجة الاستعمارية - مع النهب
الاقتصادي والاحتلال العسكري والسياسي - مرجعيتها هذه في
المعرفة الحسية والنزعة المادية فتجددت بذلك ريح المواجهة
الفكرية بسيرتها الأولى من حيث [illegible] مع تغير في مواقع الفرقاء
فبعد الفتوحات الإسلامية نهض الإسلاميون بمواجهة مذاهب
المعرفة الحسية التي توقف عند المحسوس والمحسوس نهضوا
بمواجهة مذاهب الإسلام في المعرفة في البلاد التي فتحها
المسلمون بعد قدموا السبيل الإسلامي في المعرفة كعبرة من

المشروع الحضاري الإسلامي، الذي انتصر وعد لأكثر من عشرة قرون – منارة العالمين.

واليوم وبعد الغزو الغربي لوطن العروبة وعالم الإسلام منذ نحو قرنين من الزمان اقتحم الفكر الغربي على العقل المسلم دياره ومعاقله، محاولاً أن يفرض عليه ... يريد فرضه نموذجه الحضاري الغربي المؤسس على النزعة المادية والحسية في المعرفة. الأمر الذي يجعل من شعار "إسلامية المعرفة" التعبير عن مهمة ثقافية ورسالة فكرية هي المدخل والسبيل والأداة لبلورة الصور المعاصرة للمشروع الحضاري الإسلامي الذي لابد لنا من إحيائه وتجديده لنواجه به المشروع الغربي.

فالقضية الآن أكبر من مهمة ثقافية وأخطر من سياسة فكرية وأعظم من "هم أكاديمي" ... إنها جزء من المشروع الحضاري الإسلامي الذي يمثل بالنسبة لليقظة الإسلامية الحديثة دليل العمل الذي يسير لهذه اليقظة بطريق ... والآن الذي لا يكتب أمن هذه اليقظة وطوق النجاة لأمتنا من ... الفكرية والاستلاب الحضاري الذي أقام له الآخر الحضاري في عقر دارنا المؤسسات التي تبث مذاهبه في المعرفة ومناهجه في صياغة الواقع وتشكيل الحياة.

تلك هي المهمة التي يطرحها شعار "إسلامية المعرفة" على العقل المسلم، في المنعطف التاريخي والظرف الحضاري الذي نعيش فيه.

(٧)
وقسمة في مشروعنا الحضاري البديل

ولعل مما يزيد العقل الإسلامي ثقة في خطر هذه القضية قضية إسلامية المعرفة .. واطمئنانا إلى توافر إمكانات النجاح فيها .. غير القياس على انتصار أسلافنا العظام على الوضعية الغيبية والدهرية القديمة .. أن كثيرًا من دوائر الفكر الغربي ذاته قد حدث تعميق من خدر الاطمئنان الذي خدعتها به موجة المعرفة الحسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

لقد شهد العلم الغربي، منذ العقود الأولى للقرن العشرين، العديد من الاكتشافات العلمية، التي يعدها المؤرخون له بمثابة الثورات التي كشفت عورات افتقار المعرفة الحسية والمادية إلى التوازن ومن ثم افتقادها مقومات «الصدق المعرفي»

- ففي الفيزياء، مثلت أبحاث ونظريات ومكتشفات أينشتاين Einstein [١٨٧٩-١٩٥٥م]، وبور Bohr [١٨٨٥-١٩٦٢م]، وهايزنبرج Heisenberg [١٩٠١-١٩٧٦م] ثورة كبرى.
- وفي مبحث الأعصاب، مثلت أبحاث ومكتشفات شرنجتون Sherrington [١٨٥٧-١٩٥٢م]، وإكلس Eccles من مواليد ١٩٠٣م، وسبري Sperry [١٨٦٠-١٩٣٠م]، وبنفلد Penfield ثورة جديدة

● وفي علم النفس، مثلت بحوث ومكتشفات فرانكل Frank
وماسلو Maslow، وماي May ثورة أخرى.

● وفي علم الكونيات كانت نظرية الانفجار العظيم [illegible] وتمددا الأساسي [illegible] فتحت عهدا جديدا [illegible] مع ثورات [illegible] في الفيزياء [illegible] والأعصاب وعلم النفس [illegible] الأسس الجديدة للمعرفة غير الحسية [illegible] وبحيث أنها لا تقف على [illegible] الحس وحده [illegible] وبعد [illegible] الاختصاص من علماء الفيزياء [illegible] معرفي هذه الثورات العلمية [illegible] فإن هذه المكتشفات لم تمس التصور الحديث الذي كان سائدا في العلم الغربي للإنسان ولمكانته في العالم فحسب بل [illegible] تقديم تفسيرا جديدا».

لقد كان التصور السائد في دوائر العلم الغربي [illegible] أنموذجا للسبب والحتمية في المعرفة هو [illegible] لا وجود إلا للمادة وأن الأشياء جميعها قابلة للتفسير تبعا لمادة فحسب وهكذا يتحتم أن تكون حرية الاختيار وهما من الأوهام مادامت المادة غير قادرة على التصرف الحر ولما كانت المادة عاجزة عن أن تخطط أو تهدف إلى أي شيء فلا سبيل إلى العثور على حكمة وراء الأشياء الطبيعية [عالم الغيب] [illegible] أن العقل [illegible] يعتبر نتاجا ثانويا لنشاط الدماغ.

ولقد وصف برتراند راسل Bertrand Russell [١٨٧٢-١٩٧٠م] هذا التصور المادي الذي ساد دوائر المعرفة والعلم الغربي فقال: [illegible] أن يكون الإنسان نتاج أسباب لا تعلم الغاية

الملازمة لما تحققه من غايات، ولأن تكون منشؤه ونموه ومخاوفه وصبواته ومعتقداته مجرد حصيلة ارتصاف ذرات عرضي، ولأن تعجز أي همة عن تخليده أو بطولة، أو أي حدة في التفكير والشعور عن الإبقاء على حياة فرد واحد فيما وراء القبر، ولأن تكون الدمار هو المصير المحتوم لكل عناء الأجيال، وبكل التفاني، ولكل عبقرية الإنسان المتألق السمس في رائعة النهار، كل هذه الأمور إن لم تكن حقائق غير قابلة للجدل فإنها مع ذلك تقترب من اليقين إلى حد يستحيل معه على أي فلسفة ترفضه أن تكتب لها البقاء، وعلى ذلك لا يمكن بناء موطن الروح بأمان إلا في إطار هذه الحقائق وعلى أساس راسخ من القنوط المقيم

نعم لقد سادت «نظرية القنوط المقيم»، مما وراء الصدفة في حقبة النهضة الحديثة بالمعرفة الغربية الحسية والعلم الغربي المادي، حتى عمم هذه النظرة على جميع العلوم المادية منها والإنسانية

لكن المؤرخين الجدد للعلم الغربي الذين رصدوا الثورات المعاصرة في هذا العلم يقولون إن ذلك التصور «المادي الفاقد» قد طويت صفحته بهذه الثورات العلمية المعاصرة وبمعطياتها في نظرية المعرفة، وبعبارة عالم الفيزياء هنري مرجينو Henri Margenau «إن العقيدة الأساسية للمذهب المادي، هي أن الحقيقة كلها تكمن في المادة، وهذا رأي كان مقبولا بعض القبول في أواخر القرن الماضي [التاسع عشر] غير أن أمورا كثيرة حدثت في هذه الأثناء تكذب هذا الرأي»

وبعبارة عالم الفيزياء فيرنر هايزنبرج «إن الفيزياء الذرية المعاصرة قد نأت بالعلم عما كان يتسم به من اتجاه مادي في القرن التاسع عشر».

إذن فنحن أمام جديد، وبإزاء تحولات في مذهب المعرفة الغربية، تحولات عن النزعة المادية البحتة والحسية الصرفة.

لقد قال الإمام الغزالي قديمًا: «طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله». لقد بدأ جراح الأعصاب «وايلدر بنفيلد» تجاربه على الدماغ بهدف إثبات النظرية التي كانت سائدة في الفلسفة المادية - الدماغ يفسر العقل - لكنه وصل عبر دراسة ما يربو على ألف حالة إلى إثبات عكس هذه النظرية المادية، وصل إلى أن العقل غير الدماغ. «فالدماغ هو مقر الإحساس والذاكرة والعواطف والقدرة على الحركة، لكنه ليس مقر العقل أو الإرادة. والعقل لا الدماغ هو الذي يراقب ويوجه في آن معًا، وهو الذي يتخذ القرارات وينفذها مستعينًا بمختلف آليات الدماغ».

لقد وصل بنفيلد إلى هذه الحقائق ورتب عليها معطياتها في نظرية المعرفة، فكتب في كتابه [لغز العقل]:

«إنه أقرب إلى المنطق أن نقول إن العقل ربما كان جوهرًا متميزًا ومختلفًا عن الجسم»!

وأمام هذا الذي قاله نتذكر تعريف الإسلاميين للعقل بكلمات الشريف الجرجاني [٧٤٠-٨١٦هـ = ١٣٤٠-١٤١٣م]

« هو جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الانسان نور في القلب يعرف الحق والباطل »

ويذكر ايضا تعريفه لـ القلب الذي يعقل ويفقه كما جاء في القرآن الكريم - والذي يقول عنه انه لطيفة ربانية بها يبدأ القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر يتعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان ويسميها الحكيم النفس الناطقة وهي المدرك والعالم من الانسان والمخاطب والمطالب والمعاتب

انه التعريف الاسلامي الذي لم ير الانسان مجرد مادة تقوم الفكر بالتفاعلات لجزيئات هذه المادة

ومن هذا المعنى يقترب العلم الغربي المعاصر بتجارب علمائه على الأعصاب!

بل لقد خطا وبلدر بنفيلد خطوة أخرى هامة عندما قال متعجبا وهو الذي بدأ ابحاثه بهدف دعم النظرة المادية والحسية للمعرفة - قال ما له من مؤشر الى ان يكتشف ان العالم يستطيع بدوره ان يؤمن عن حق بوجود الروح وبما ان العقل والإرادة غير مادي فلا شك ان هاتين الملكتين على حد تعبير « اكلس » - « لا تخضعان بالموت ستحلل الذي يطرأ على الجسم والدماغ كليهما »[1]

(١) العلم في منظوره الجديد ص ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣

إننا بإزاء إيمان بالروح وبقاء خلودها وانتصارها بعد تحلل الجسم وفناء المادة يحسن نهاية المطاف

وهنا تتلاقى هذه التجربة الجديدة مع تعبير «التجريبية الإسلامية» الموصوفة فقد انتهى بنا من معطيات لكن يبقى «البديل الإسلامي» متميز فهو لا ينطلق في المعرفة فقط من الواقع والحس والتجريب وإنما ينطلق أيضا من «كتاب الوحي» وهو ما نعتقده ويفتقر إليه هؤلاء التجريبيون الجدد الغربيون»!

لقد اكتشف نيوتن من قبل أن العالم المسلم الذي ينطلق من «كتاب الوحي» و«كتاب الكون» فإنه يكتشف بالتجربة في «كتاب الكون» الأسرار التي أودعها صاحب «الوحي» و«خالق الوجود» فهو ينطلق من الإيمان الديني ينطلق من «الشرعي» لاكتشاف المدني «الكوني» ثم يوظف ثمرات العلم المدني «الكوني» في خدمة الإيمان الديني «الشرعي» ويكون لذلك أكثر خلق الله خشية له ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(١)

فالتطور الذي يحدث في العلم الغربي المعاصر ومعطياته في نظرية المعرفة هو مما يدعم ثقتنا في «البديل الإسلامي» ويزيد من إلحاح هذه القضية على العقل المسلم لنهضة علومه

(١) سورة فاطر ٢٨

من آثار الموجة المدنية للعلم العربي الحديث، وبصناعة هذه العلوم وفق منهاج إسلامية لمعرفة والإسلام [illegible] في تركيبة ويرشد هذا الموجة الجديدة و[illegible] [illegible]

* * *

إن الإسلام الذي صاغ عقل علماء [illegible] حضارته [illegible] أنه [illegible] العلاقة بين الشرعي والمدني في [illegible] والعلوم

إن هذا الإسلام الذي صاغ الأمة [illegible] في معرفة هذه الصياغة الإبداعية المتميزة هو الذي صاغ [illegible] وبسبب ذلك [illegible] علماء هذه الأمة صياغة متميزة [illegible]

التجريبيون [illegible] و[illegible] الروحانيون [illegible] [illegible] حيث الفكرية والعلمية من ذلك [illegible] بين [illegible] والتجريب [illegible] [illegible] و [illegible] [illegible] «الشرعي» و«المدني»

فالإنسان [illegible] الإنسان [illegible] ولعمر لكون مستقبله في ذلك كله [illegible] الوحي و الوجود [illegible] هذا

● كان أبو الوليد بن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥هـ = ١١٣٦ - ١١٩٨م] يفزع الناس إلى فتواه في الفقه كما يفزعون إلى فتواه في الطب فهو طبيب التجريب والعقل الأصولي لمشكلات الحكم [illegible] صاحب [كتاب الكليات] في الطب و[بداية المجتهد ونهاية

المقتصد] في الفقه و[مناهج الأدلة في عقائد الملة] و[فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] في علم الكلام والتوحيد.

- وكان ابن سيناء أبو علي الحسين بن عبد الله [370 - 428هـ 980 - 1037م] أستاذ الرئيسين في الشرق والغرب، وتفوق في الإلهيات والطبيعيات وفي التصوف والطب والحيوان. ومن أشهر كتبه في الطب [القانون] وفي الحكمة والإلهيات [الشفاء] و[النجاة] و[أسرار الحكمة المشرقية] وفي الطبيعيات والكيمياء [النبات والحيوان] و[الهيئة] و[أسباب الرعد والبرق]. إلخ

- وكان البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر [429هـ - 1037م] - وهو الذي اشتهر بإبداعاته المتميزة في أصول الدين - المبرز في الحساب وفي الهندسة حتى لقد قالوا إنه كان يدرس في سبعة عشر فنا. ومن آثاره [أصول الدين] و[تفسير القرآن] و[معيار النظر] و[التكملة في الحساب] و[رسالة في الهندسة]. إلخ.

- وكان الخيام، أبو الفتح عمر بن إبراهيم [515هـ 1121م] اللغوي الشاعر والفيلسوف المؤرخ والرياضي الفقيه والمهندس الفلكي. ولقد بقيت لنا من آثاره [مقالة في الجبر والمقابلة] و[شرح ما أشكل من مصادرات أقليدس] و[الاحتيال لمعرفة مقداري الذهب والفضة في جسم مركب منهما] و[الرباعيات] و[الخلق والتكليف] وغيرها من الآثار الشاهد

تنوعه وتكاملها على هذا المذهب الاسلامي في تكامل مصادر المعرفه وتكامل أدواتها، ومعرفة علمائه.

● وكان الفخر الرازي، ابو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر [٥٤٤ - ٦٠٦هـ - ١١٥٠ - ١٢١٠م] الامام في علوم الدنيا والدين جميعا، حتى لقد قال مؤرخوه: انه كان اوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الاوائل. ومن بين اثاره الكثيرة والجامعة لاقطار المعرفة وتخصصاتها نجد: مفاتيح الغيب في تفسير القرآن الكريم و«معالم أصول الدين» و«لوامع البينات في شرح أسماء الله الحسنى والصفات» و«نهاية البحث في التوحيد وأصول الدين» و«محصل افكار المتقدمين والمتأخرين» و«نهاية العقول» و«البيان والبرهان» في الفلسفة - و«المباحث المشرقية» في التصوف و«سر المكتوم» في الفلك و«النبوات» في النبوة والرسالة و«النفس» في علم النفس. كما ابدع في الهندسة كتاب الهندسة و«كتاب مصادرات اقليدس»... الخ

هكذا تجسد توازن وتكامل مصادر المعرفة في المنهج الاسلامي وتوازن تكامل ادوات وسبل تحصيلها في هذا المنهج هكذا تجسد في العلم الاسلامي وفي العقل الاسلامي وفي تراث علماء الاسلام فكان الاشتغال بجميع العلوم: الشرعي منها والمدني والنظري منها والتجريبي عبادة وقربة الى الله وامتثالا لاوامره وتكليفاته فبالعلوم الشرعية تعرف المقاصد الالهية في العمران البشري وبالعلوم المدنية يقيم

البشر العمران لدى استخلفهم خالقهم لإقامته في هذا الوجود وفيهما معاً وبهما جميعاً يكتشفون بأن الله سبحانه وتعالى في الأنفس والآفاق فيظل العلم بهذا المنهج في المعرفة لدى المفتوح دائماً وأبداً لاكتشاف الحقيقة في عالم الشهادة وبعد قواعد الإبصار بالله وعالم الغيب وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾(1)

وإذا كانت هذه هي سمات ومميزات [illegible] في المنهج الإسلامية المعرفية [illegible] ومن المعارف والعلوم [illegible] هذا المنهج وفي العلماء [illegible] المتزمتون في [illegible] وتحصيل هذه المعارف والعلوم [illegible] تكون الصورة [illegible] ومشوهة على [illegible] التي [illegible] هذا [illegible]

ومن هنا لا [illegible] كثير [illegible] هو [illegible] بين هذا الاستكبار [illegible] على الجبهة الإسلامية وبين واقع النهضة [illegible] العربية [illegible] في [illegible]

● فقد كان التقدم العلمي في علوم [illegible] والدين حتى [illegible] الأكسير [illegible] أصحابها [illegible] الإنسان [illegible] المنكرة المعبرة عن هذا الحلم [illegible] الله عما صاحوا به علوًا كبيرًا –

(1) سورة فصلت ٥٣

● ولكن الكثير من مفكري الغرب هذا المنهج [illegible] اعتماداً على

ساق المعرفة الحسية وحدها، وخاصة في العلوم الاجتماعية

والإنسانية [illegible] ثمرات معينة تلغي الوقت الذي [illegible]

وثقته وموضوعيته العلمية والتجريبية [illegible]

[illegible] والأمراض [illegible]

[illegible] الأعوج [illegible]

إلى أمراض فكرية وإلى التفجر [illegible]

[illegible] حتى وإن [illegible] بعض الأنصار

وثمة أسئلة [illegible]

[illegible]

[illegible] والموضوعية [illegible]

يفرضونها على البشرية جمعاء؟

وبسبب من التشبع [illegible] والحسي [illegible] المعرفة في هذه

[illegible] على

الشعوب المستضعفة وتدميره [illegible] الاقتصادية [illegible]

في مجتمعاتها [illegible]

[illegible] رسالة حضارية [illegible] الرجل الأبيض [illegible]

من العالمين

وبسبب من هذا [illegible] الحسي والمادي [illegible]

التطبيقات المعرفية [illegible] في العلم [illegible] كانت

تطبيقاتها في دمار البيئة وتلويثها والإخلال بتوازنها [illegible]

[illegible] للأمم الأخرى رسالة حضارية [illegible] اعتبر العدوان على

الطبيعة» رسالة حضارية» أخرى! جعلا من عنوان «قهر الطبيعة» و«السيطرة عليها» و«تسخيرها للإنسان» عناوين عليها؟

ولأن هذا المنهج الحسي والمادي لا يعترف بغير الواقع المحسوس ولا يؤمن بغير عالم الشهادة فلقد أثمر الفردية التي لا ترى للجماعة الإنسانية مقاصد غير الوفرة المادية التي تحقق للإنسان ذاته وشهواته التي لا تتناهى عند حدود، وأثمر سعار القسوة والتسلط والصراع الذي لا يعرف التعاون.

لقد أثمر هذا المنهج في المعرفة الغربية علوما ومعارف ومذاهب تحقق للإنسان قوة المفترس الذي يباكر في سعة الأمعاء، بينما عجزت عن تحقيق الإشباع الروحي لهذا الإنسان فاختل توازنه عندما لبت له حاجات الجسد دون حاجات الروح حتى لقد أدى هذا الخلل إلى تهديد الجسد ذاته بالدمار لغياب دور الروح في ترشيد الإشباع المادي لجسد هذا الإنسان.

* * *

إن ما نشرف عليه من تحولات جديدة في فلسفة العلم الغربي المعاصر تحولات عن فلسفة معرفته وغاياتها هي حوافز لمزيد من الثقة بمنهجنا الإسلامي المتميز في المعرفة، لابد أن تدفعنا إلى مزيد من الجهد لبلورة منهجنا منهج إسلامية المعرفة وصياغة علومنا الإنسانية وفلسفة علومنا الطبيعية وفقا له.

وإن ما نشهده من سقوط وتراجع الكثير من مذاهب [illegible]

ونظرياته التي نهبت الأبصار لعقود عديدة من الزمن، سقوطها

وتراجعها كحال الماركسية، وكثير من الأمراض التي تكتسح

الصحة والنفسية [illegible]

[illegible] في هذا الميدان، ولا غرو، فالذي لا يكتشف في سقوطه

وتراجع الماركسية و الداروينية و الوجودية

و الفرويدية، والكثير من مذاهب ومناهج البحث والنقد في

الفنون والآداب [illegible] الذي لا يكتشف في [illegible] وراءه خللا

حقيقيا وانكبابا على المنهج المادي والحسي للمعرفة التي تعرف

هذه المذاهب وانتصاراتها؟ ونرى في هذا [illegible] على

ضرورة بلورة المنهج البديل؟

بعد طالما [illegible] تحققت تصورات المنهج

الإسلامي المتميز في المعرفة عندما وقفنا عند [illegible] عصر

التراجع الحضاري، وتم تحول المنهج الغربي في المعرفة لدى

واجهه به علماء عصر النهضة مذاهب المعرفة الحسية عند الأمم

والنحل الأخرى لم يولوه ما هو أهل له من الاهتمام

وقد حظي هذا المنهج الإسلامي مرة أخرى بمقدمات «المنظور»

الغربي في نظريته المعرفية [illegible] الوضعية و[illegible]

وتجريبيته بمعطياته الغربية، واختلف شكل [illegible] في

علوم الإنسانية والاجتماعية وفي فلسفة العلوم الطبيعية

ويدرك هذا المقلد للتخلف الموروث [illegible]

وغير الملائم السبب الأول في عقم الشديد في الإبداع

وما كان لأمة أن تبدع في علوم حضارتها المتميزة إلا إذا هي بلورت منهاجها المتميز في المعرفة. وإذا كانت اليقظة الإسلامية المعاصرة مدعوة إلى بلورة سبيلها الحضاري كدليل لنهضتها المنشودة؛ وذلك حتى لا تسقط في هاوية «التبعية» و«الاستلاب الحضاري» أو تضل الطريق فإن المدخل إلى هذا الإنجاز هو «إسلامية المعرفة» حتى يأتي هذا «البديل» إسلاميا حقا فقضيتنا إذن «قضية إسلامية المعرفة» هي جزء من مشروع حضاري بديل. وليست مجرد قضية ثقافية خاصة بدوائر المثقفين والمفكرين.

إنها قضية أمة تريد أن تنهض في مواجهة تحديات شرسة وقضية دين أنعم الله علينا بأن هدانا إلى التدين به.

وقضية حضارة صاغ أسلافنا العظام علومها ومعارفها بهذا المنهاج.

ولن يصلح البديل الحضاري الإسلامي المعاصر الذي نريد به مواجهة التحدي المعرفي الحديث إلا بما صلح به البديل الحضاري الإسلامي الأول الذي واجه به أسلافنا التحدي المعرفي القديم.

إنها قضية «قديمة - جديدة» تمثل واحدة من أبرز القسمات التي تميز وتتميز بها الإسلام الدين والحضارة على غيره من النحل والفلسفات والحضارات.

إن «إسلامية المعرفة» تعني «حضارة مؤمنة» تقوم على «عقلانية مؤمنة» يدعو علماء هم أكثر الناس خشية لله»

● وإذا كانت الوضعية العلمانية قد عزلت «المعرفة» عن

الدين والوحي وعالم السماء، من خلال ... وصفه

بشرية، إذ كانت هذه الوضعية، في الغرب ... تمرها

نموذج فلسفيها الوحيد كونت ... ذلك الذي قطع المحاضرة

التي بدأ إلقاءها سنة ١٨٢٦م [الفلسفة الوضعية] ... وهي التي

كونت مؤلفه الرئيسي ... انقطعت بسبب إصابته بمرض عقلي

أعقبته محاولته الانتحار غرقًا في نهر السين سنة ١٨٢٧ للفرط

اليأس والقنوط

ولدى تعرف على كلوتيلد دوفو ... وهي تصغره ... سنة

في أثناء حضورها ... ثم تزوجها ... قلب ... عنه ...

حب ... متزوجة من رجل هارب من مطاردة البوليس ... هي

كلوتيلد دي فو ... فكان حبه لها ... كما يقول مؤرخو فكره

السبب في ... كتاباته طابعًا جديدًا ... موضوع ... العقل

النقلي وعالم ... معابد الدين الوضعي[1]

... وإذا كان هذا هو حال علم ... علماء ... حسية

... الفصام النكد بين الأرض والسماء ... بين الكون والوحي

بين «الدين» و«الآخرة» ... بين «المدني» و«الشرعي»

● فإن الإسلامية المعرفية شأن آخر، وتراث ... وبعدد

من العلماء مختلف

(١) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] ص ٢٦٦، ٢٦٧

لقد كان عالمنا أبو عثمان عمرو بن عبيد [٨٠-١٤٤هـ / ٦٩٩-٧٦١م] [illegible] الثورة في سبيل الشورى والحرية والعدل [illegible] العقلانية الإسلامية التي واجهت مقولات [illegible] والترجيح بالأدلة [illegible] الرجل الذي [illegible] إذا رأوه قائلين «هذا خير الناس».

[illegible] البصرة [illegible] العقل [illegible]

والفيلسوف العقلاني [illegible] على [illegible] بالاستعفاف [illegible] على [illegible] وعلى الدين بالعصمة

وهو [illegible] في قومه والبصرة [illegible] له الحرم سيرا على قدميه [illegible] من البصرة [illegible] مكة [illegible] مرة على [illegible] على قدميه [illegible] عليه الفقراء والضعفاء»(١).

هذه هي [illegible] بصناعة الوصفيين [illegible] فكري [illegible] [illegible] الذي [illegible] بالانحراف [illegible] الذي [illegible] «الوصفية» [illegible]

(١) انظر [illegible] ١٩٨٨م.

المصــادر

- القرآن الكريم .
- كتب السنة :

[صحيح البخاري] طبعة دار الشعب القاهرة

[صحيح مسلم] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

[سنن الترمذي] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧م

– [سنن النسائي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م

– [سنن أبي داود] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢م

[سنن ابن ماجه] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م

– [سنن الدارمي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م

[مسند الإمام أحمد] طبعة القاهرة سنة ١٣١٣هـ

- الكتب المطبوعة :

آدم متز [الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري] ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

ابن جلجل [طبقات الأطباء والحكماء] تحقيق فؤاد سيد طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥ م

ابن القيم [إعلام الموقعين] طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م و[الطرق الحكمية في السياسة الشرعية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م

ابن منظور [لسان العرب] طبعة دار المعارف القاهرة

البلخي والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي [فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة] تحقيق فؤاد سيد – طبعة تونس سنة ١٩٧٣م

التهانوي [كشاف اصطلاحات الفنون] طبعة الهند سنة ١٨٩٢م

الجرجاني (الشريف) [التعريفات] طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م

روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو : [العلم في منظوره الجديد] ترجمة كمال خلايلي طبعة الكويت سنة ١٩٨٩م

حسين مؤنس (دكتور) [أطلس تاريخ الإسلام] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧م

روزنتال م. م. يودين [الموسوعة الفلسفية] ترجمة سمير كرم – طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

زكي نجيب محمود (دكتور) (إشراف) [الموسوعة الفلسفية المختصرة] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣م

الطهطاوي (رفاعة رافع) [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة – طبعة بيروت سنة ١٩٧٧م

عبد الوهاب الكيالي (دكتور) (إشراف) [موسوعة السياسة] طبعة بيروت سنة ١٩٨٣م

مجمع اللغة العربية – القاهرة [معجم ألفاظ القرآن الكريم] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م [المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٩م

محمد أمزيان [منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية] رسالة ماجستير – تحت الطبع

محمد عمارة (دكتور) [الطريق إلى اليقظة الإسلامية] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م [مسلمون ثوار] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م

محمد فؤاد عبد الباقي [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب – القاهرة

مراد وهبة (دكتور) يوسف كرم، يوسف شلالة [المعجم الفلسفي] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م

[illegible] [... التاريخ الإسلامي] ترجمة إبراهيم زكي خورشيد – طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م

ونسنك (ي.) وآخرون [المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف] طبعة ليدن ١٩٣٦–١٩٦٩م

اليونسكو [معجم العلوم الاجتماعية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥م

الفهرس

١ – شعار جديد لمضمون قديم ٣

٢ – التعريف والضبط للمصطلحات ٩

٣ – أمثلة وتصنيفات ١٣

٤ – النموذج القرآني لإسلامية المعرفة ٣٧

٥ – بعض الفتوحات الإسلامية ٦٢

٦ – [illegible] موضوعية [illegible] ٧٣

٧ – [illegible] ٨٣

المصادر ٩٩

فهرس الموضوعات ١٠١

سلسلة «فى التنوير الإسلامى»

العنوان	المؤلف
١ـ الصحوة الإسلامية فى عيون غربية	د. محمد عمارة
٢ـ الغرب والإسلام.	د. محمد عمارة
٣ـ أبو حيان التوحيدى	د. محمد عمارة
٤ـ دراسة قرآنية فى فقه التجدد الحضارى.	د. سيد دسوقى
٥ـ ابن رشد بين الغرب والإسلام.	د. محمد عمارة
٦ـ الانتماء الثقافى	د. محمد عمارة
٧ـ تنصير العالم	د. زينب عبد العزيز
٨ـ التعددية. الرؤية الإسلامية والتحديات	د. محمد عمارة
٩ـ صراع القيم بين الغرب والإسلام	د. محمد عمارة
١٠ـ د. يوسف القرضاوى المدرسة الفكرية والمشروع الفكرى	د. محمد عمارة
١١ـ تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم	د. سيد دسوقى
١٢ـ عندما دخلت مصر فى دين الله	د. محمد عمارة
١٣ـ الحركات الإسلامية رؤية نقدية	د. محمد عمارة
١٤ـ المنهاج العقلى	د. محمد عمارة
١٥ـ النموذج الثقافى	د. محمد عمارة
١٦ـ منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق.	د. صلاح الصاوى
١٧ـ تجديد الدنيا بتجديد الدين	د. محمد عمارة
١٨ـ الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة؟	د. محمد عمارة
١٩ـ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم	د. محمد عمارة
٢٠ـ التقدم والإصلاح بالتنوير الغربى أم بالتجديد.	د. محمد عمارة
٢١ـ فكر حركة الاستنارة.. وتناقضاته	د. عبد الوهاب المسيرى
٢٢ـ حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجيه جارودى	د. شريف عبد العظيم
٢٣ـ إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين.	د. محمد عمارة
٢٤ـ الحضارات العالمية تدافع.. أم صراع؟	د. محمد عمارة
٢٥ـ التنمية الاجتماعية بالغرب.. أم بالإسلام؟	د. عادل حسين
٢٦ـ الحملة الفرنسية فى الميزان	د. محمد عمارة
٢٧ـ الإسلام فى عيون غربية.. «دراسات سويسرية»	ترجمة / أ. ثابت عيد
٢٨ـ الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة.. أم تفتيت واختراق؟	د. محمد عمارة
٢٩ـ ميراث المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣٠ـ نفقة المرأة وقضية المساواة	د. صلاح الدين سلطان
٣١ـ الدين والتراث والحداثة والتنمية والحرية.	د. محمد خاتمى

٣٢ـ مخاطر العولمة على الهوية الثقافية	د. محمد عمارة
٣٣ـ الغناء والموسيقى حلال أم حرام؟	د. محمد عمارة
٣٤ـ صورة العرب في أمريكا	ترجمة وتعليق/ أ. ثابت عيد
٣٥ـ هل المسلمون أمة واحدة؟	د. محمد عمارة
٣٦ـ السنة والبدعة	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٧ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان	تقديم وتحقيق/ د. محمد عمارة
٣٨ـ قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى	د. عبد الوهاب المسيري
٣٩ـ مركسة الإسلام	أ. منصور أبو شافعي
٤٠ـ الإسلام كما نؤمن به. ضوابط وملامح	د. يوسف القرضاوي
٤١ـ صورة الإسلام في التراث الغربي	ترجمة/ أ. ثابت عيد
٤٢ـ تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة	د. محمد عمارة
٤٣ـ القدس بين اليهودية والإسلام	د. محمد عمارة
٤٤ـ مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا (شهادة ألمانية)	تقديم وتعليق/ د. محمد عمارة
٤٥ـ الآثار التربوية للعبادات في الروح والأخلاق	د. صلاح الدين سلطان
٤٦ـ الآثار التربوية للعبادات في العقل والجسد	د. صلاح الدين سلطان
٤٧ـ السنة النبوية والمعرفة الإنسانية	د. محمد عمارة
٤٨ـ نظرات حضارية في القصص القرآني	د. سيد دسوقي
٤٩ـ الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين	د. محمد عمارة
٥٠ـ الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان	تقديم/ د. محمد سليم العوا
٥١ـ عن القرآن الكريم	الشيخ/ أمين الخولي
٥٢ـ في فقه الأقليات المسلمة	د. طه جابر علواني
٥٣ـ مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية	د. محمد عمارة
٥٤ـ مركسة التاريخ	أ. منصور أبو شافعي
٥٥ـ نقل الأعضاء في ضوء الشريعة والقانون	مستشار/ طارق البشري
٥٦ـ السنة التشريعية وغير التشريعية	محمد الطاهر بن عاشور
	الشيخ/ علي الخفيف
	د. محمد سليم العوا
	د. محمد عمارة
٥٧ـ شبهات حول الإسلام	د. محمد عمارة
٥٨ـ نحو طبٍّ نفسي إسلامي	د. وائل أبو هندي
٥٩ـ واقعنا بين العالمانية وتصادم الحضارات	عطية فتحي الويشي
٦٠ـ بناء المفاهيم الإسلامية	د. سيف الدين عبد الفتاح
٦١ـ المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية	د. محمد عمارة
٦٢ـ شبهات حول القرآن الكريم	د. محمد عمارة

العنوان	المؤلف
٦٣ـ أزمة العقل العربي	د. فؤاد زكريا د. محمد عمارة
٦٤ـ في التحرير الإسلامي للمرأة	د. محمد عمارة
٦٥ـ روح الحضارة الإسلامية	الشيخ/ محمد الفاضل بن عاشور تعليق وتقديم/ د. محمد عمارة
٦٦ـ الغرب والإسلام.. افتراءات لها تاريخ	د. محمد عمارة
٦٧ـ السماحة الإسلامية	د. محمد عمارة
٦٨ـ الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانيًا؟	د. محمد عمارة
٦٩ـ صلة الإسلام بإصلاح المسيحية	الشيخ/ أمين الخولي تقديم/ الإمام الأكبر الشيخ/ محمد مصطفى المراغي تمهيد/ د. محمد عمارة
٧٠ـ بين التجديد والتحديث	د. سيف الدين عبد الفتاح تقديم/ د. محمد عمارة
٧١ـ الوقف الإسلامي والتنمية المستقلة	د. إبراهيم البيومي غانم تقديم/ د. محمد عمارة
٧٢ـ الرسالة القرآنية والتفسير الحضاري للقرآن الكريم	د. سيد دسوقي حسن
٧٣ـ أزمة الفكر الإسلامي المعاصر	د. محمد عمارة
٧٤ـ إسلامية المعرفة ماذا تعني	د. محمد عمارة
٧٥ـ الإسلام وضرورة التغيير	د. محمد عمارة
٧٦ـ النص الإسلامي بين التاريخية.. والاجتهاد.. والجمود	د. محمد عمارة
٧٧ـ مناقضة علم الفيزياء لفرضية التطور	أورخان محمد علي
٧٨ـ الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية	د. محمد عمارة



إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة ،

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني، يستبدل العقل بالدين، ويقيم قطيعة مع التراث..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي : لأن الله والقرآن والرسول - صلى الله عليه وسلم - أنوار تصنع للمسلم تنويراً إسلامياً متميزاً.

ولتقديم هذا «التنوير الإسلامي» للقراء، تصدر هذه السلسلة، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر:

- د. محمد عمارة
- د. سيف عبد الفتاح
- أ. فهمي هويدي
- د. سيد دسوقي
- د. عبدالوهاب المسيري
- د. عادل حسين
- المستشار/ طارق البشري
- د. محمد سليم العوا
- د. يوسف القرضاوي
- د. كمال الدين إمام
- د. شريف عبدالعظيم
- د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين..

إنه مشروع طموح لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر



